سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن

6

أكثر الكتب مبيعاً في الوطن العربي

هكذا تعرفتُ على الله

الأستاذ الدكتور

زغلول النجار

فريق متميزون

E-BOOK

بداية

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما امكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج اكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين ايديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

هكذا تعرَّفت على الله

الأستاذ الدكتور: زغلول النجار (رحمه الله)

مقدمة..

يعمر الأرض التي نحيا عليها اليوم أكثر من سبعة مليارات نسمة من بني آدم، وقد عمرتها من قبل مليارات عديدة، كما سيعمرها في المستقبل مليارات أخرى من هذه السلالة المكرمة حتى نهاية هذه الحياة الدنيا.

ويؤكد القرآن الكريم، كما تشير قوانين الوراثة إلى أن هذه الأعداد المذهلة من البشر قد جاءت كلها من صلب أب واحد وأم واحدة وذلك بانقسام الشيفرة الوراثية المختلطة لأبوينا آدم وحواء (عليهما السلام). ولا يمكن لعاقل أن يتصور إمكانية إتمام هذا التسلسل العجيب للبلايين من بني الإنسان بشيء من العشوائية أو الصدفة. ومحاولة نسبة ذلك إلى مجموع القوانين والسنن التي تحكمها لا يكفى لتفسير ذلك التسلسل البشرى المعجز، أو تفسير نظائره في باقي الأحياء، وذلك لأن تلك القوانين والسنن تحتاج إلى واضع لها ومهيمن عليها، فمن الذي وضعها؟ ولا يزال يرعاها؟ ويهيمن عليها؟ غير الله الخالق (سبحانه وتعالى)!

من هنا كانت هذه الدعوة لأهل الأرض جميعا إلى الإيمان بالله (تعالى) والتصديق بكتابه الخاتم (القرآن الكريم) واتباع خاتم أنبيائه ورسله (صلى الله عليه وسلم). ويمكن تفصيل ذلك في النقاط التالية:

أولا: الصفات الوراثية للإنسان تشهد لخالقه بالألوهية والربوبية.

ثانيا: خلق كل من الإنسان والكون يشهدان للخالق بالألوهية والربوبية.

ثالثا: الاحتمالات الرياضية للصدفة في الخلق منعدمة انعداما كاملا.

رابعا: وحدة البناء في الخلق تشير إلى وحدانية الخالق (سبحانه وتعالى).

خامسا: حدوث الكون وما فيه من كائنات وحتمية فناء كل ذلك يؤكد على حتمية الآخرة.

سادسا: محدودية قدرات الإنسان الحسية والعقلية تؤكد على حقيقة الغيب.

سابعا: حاجة الإنسان الفطرية إلى الدين تشهد بوجود الله.

ثامنا: حفظ كل من القرآن والسنة يثبت أن الدين عند الله الإسلام.

تاسعا: إعجاز القرآن الكريم للخلق أجمعين بمعنى عجزهم جميعا عن الإتيان بشيء من مثله يشهد بأنه كلام الله.

عاشرا: كل الظواهر الطبيعية هي من علامات قدرة الله.

حادي عشر: الإنسان بين مفترق طرق: إما الإيمان وإما الكفر.

☆ ☆ ☆

أولا: الصفات الوراثية للإنسان تشهد لخالقه بالألوهية والربوبية

أثبتت العلوم المكتسبة أن الصفات الوراثية للمخلوقات الحية - ومنها الإنسان - تحملها جسيمات بالغة الدقة في داخل نواة الخلية الحية تُعرف باسم الصبغيات (الكروموسومات)، وأن عدد هذه الصبغيات محدد لكل نوع من أنواع الحياة، وأن أي حيود عن هذا العدد المحدد للنوع إما أن يقضى على جنينه في الحال فلا يكون، أو يسبب اختلالا في البناء الجسدي للكائن الحي يظهر على هيئة عدد من التشوهات الخلقية التي قد تفضي إلى الموت أو إلى العيش بعدد من الإعاقات الجسدية.

فالخلية العادية في جسم الإنسان، والتي لا يتعدى طول قطرها في المتوسط (03,- مم) بُنيت بقدر مذهل من التعقيد، جعل لها قدرة على الأداء تفوق قدرات أكبر المصانع التي استحدثها الإنسان، بل التي فكر في إنشائها ولم يتمكن من تحقيق ذلك بعد. فنواة الخلية الحية هي عقلها المتحكم في جميع أنشطتها. هذه النواة المتحكمة في الخلية البشرية الحية يوجد (46) صبغيا فيها (23) زوجا، أحدها مخصص للقيام بمهمة التكاثر، والباقي مخصص للقيام بمهمات النمو الجسدي.

وهذه الصبغيات الجسدية والتكاثرية تشغل حيزا في داخل نواة الخلية لا يكاد يتعدى حجمه واحدا من خمسمائة ألف من المليمتر المكعب، ولكن هذه الصبغيات إذا فُردت، وضمت أطرافها إلى بعضها البعض فإن طولها يصل إلى قرابة المترين. وهذان المتران يضمان (18.6 بليون جزيئا) من الجزيئات الكيميائية المعقدة، المرتبة ترتيبا في غاية الدقة والانتظام والإحكام إلى درجة أنه إذا اختل وضع ذرة واحدة في أي من هذه الجزيئات فإما أن يشوه المخلوق صاحب هذه الخلية أو لا يكون!

وإذا علمنا أن جسد الإنسان البالغ يضم تريليونات الخلايا، فإذا فُردت صبغيات جميع الخلايا في جسد فرد واحد من أفراد الجنس البشرى، وتم رصها بنهاياتها الطرفية إلى بعضها البعض فإن طولها يزيد بأضعاف كثيرة على طول المسافة بين الأرض والشمس (والمقدرة بحوالي مائة وخمسين مليون كيلومتر في المتوسط).

وإذا سلمنا بحقيقة أن مخزونا هائلا من المعلومات فائقة الدقة في الترتيب والنظام، وإحكام البناء موجود في داخل كل خلية حية من خلايا جسد كل فرد منا، وأن هذه المعلومات موجودة على هيئة عشرات بل مئات التريليونات من الكيلومترات طولا من الجزيئات الكيميائية المعقدة في البناء، والمنظمة في الترتيب بشكل شديد الإحكام، بحيث يعطى هذا الشكل لكل فرد من بني آدم بصمة وراثية خاصة به، تميزه عن غيره من البلايين الذين يملأون جنبات الأرض اليوم، والذين عاشوا وماتوا، والذين سوف يأتون من بعدنا إلى نهاية هذا الوجود الدنيوي، فإن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: من الذي وضع في جسد كل فرد منا هذا الكم الهائل من المعلومات؟ ومن الذي رتبها هذا الترتيب المميز لكل إنسان؟ مع تشابه التركيب

الكيميائي للحمض النووي الريبى منزوع الأكسجين (DNA) الذي تكتب به الشيفرة الوراثية في أجساد جميع البشر إلى (99.9%)، ويبقى الاختلاف في جزء ضئيل جدا من الباقي الذي هو في حدود (1,%) فقط، فأي قدرة، وأي علم، وأية حكمة يمكن أن تحقق ذلك كله غير قدرة الله الخالق؟

☆ ☆ ☆

ثانيا: خلق كل من الإنسان والكون يشهدان للخالق بالألوهية والربوبية

هذا بالنسبة إلى الخلية الحية الواحدة في جسم الإنسان، فإذا دخلنا في تفاصيل هذا البناء الجسدي، من تخصص كل من الأنظمة، والأجهزة، والأنسجة، والخلايا المتعددة والتي تعمل في توافق عجيب، وتكامل مذهل من أجل سلامة الجسد البشرى كله، فإن قدرة الله الخالق تتجلى بصورة أوفى وأعظم!

ويزداد العجب إذا علمنا أن هذه التريليونات من الخلايا المتخصصة، والتي تنتظمها أنسجة متخصصة لتكون أجهزة ونظما متخصصة في جسد كل فرد بالغ من بني الإنسان قد نشأت كلها من خليتين من خلايا التكاثر إحداهما من الأب (وهى الحيمن) التي لا يزيد طولها على (005, من المليمتر)، والأخرى من الأم (وهى البييضة) التي لا يزيد قطرها عن (200, من المليمتر)، وفى ذلك تمثيل عملي لخروج بلايين الأفراد من بني آدم من أب واحد (هو آدم عليه السلام) وأم واحدة (هي حواء عليها من الله الرضوان) على مسيرة تاريخ البشرية فوق سطح الأرض.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو:

من الذي قدر كل ذلك بهذه الدقة الفائقة، والإحكام الشديد؟

وهل يمكن للعشوائية أو الصدفة أن تنتج شيئا من ذلك؟

وهل يمكن لما يسمى باسم "الطبيعة" أو "الفطرة" وحدها أن ترتب الأمور بهذه الدقة الفائقة؟

والجواب بالقطع هو: "لا"!

وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى تأمل الجوانب الروحية والنفسية للإنسان: بمشاعره، وعواطفه وأحاسيسه، وملكاته، وقدراته، وانفعالاته، لدخلنا في متاهة لا نستطيع الخروج منها إلا بالخضوع الكامل لله الخالق - سبحانه وتعالى- وفى ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ} (المؤمنون: 12-14).

ويقول عز من قائل: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأرض هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } (الحج:5).

وقال سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} (الأنعام: 98).

وقال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} (التين: 4).

الكون يشهد لخالقه بالألوهية والربوبية:

إذا عدنا من تأملات الإنسان في روعة بناء جسده المادي إلى شيء من التأمل في الكون من حوله لوجدنا أننا نعيش فوق كرة من الصخر تُقدر كتلتها بحوالي ستة آلاف مليون مليون طن (5974 مليون مليون مليون طن)، ويحيا على سطحها حوالي سبعة بلايين نسمة من بني آدم، وأكثر من مليون ونصف المليون نوع من أنواع الكائنات الحية التي يمثل كل نوع منها ببلايين الأفراد (مع العلم بأنه إذا أضيفت الأنواع المندثرة من صور الحياة، وحسبت معدلات اكتشاف الأنواع الجديدة سنويا فإن عدد أنواع الحياة الأرضية قد يصل إلى خمسة ملايين نوع، يمثل كل نوع منها ببلايين الأفراد).

ويحيط بالأرض غلاف مائي تُقدر كتلته بحوالي (1.4 مليون مليون مليون طن)، وغلاف غازي له تركيب كيميائي محدد، وصفات طبيعية معينة تُقدر كتلته بحوالي (5100 مليون مليون طن).

وهذا الغلاف الغازي يفصل الأرض عن السماء الدنيا، ويحميها من العديد من المخاطر الكونية المحدقة بها.

وهذه الأرض تدور (في زماننا الراهن) حول محورها أمام الشمس دورة كاملة كل أربع وعشرين ساعة، وذلك من أجل تبادل الليل والنهار على سطحها بانتظام، ومع دوران الأرض حول محورها فإنها تجرى في مدار محدد لها حول الشمس بسرعة محسوبة بدقة فائقة، وبمحور مائل على هذا المدار لكي تتبادل الفصول المناخية الأربعة: الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء، في تتابع محكم دقيق مرة كل سنة من سنين الأرض تُقدر الآن بـ (365.25) يوما من أيامنا الحالية، منتظمة في اثنى عشر شهرا.

وكانت دورة الأرض حول محورها عند بدء الخلق أسرع من معدلها الحالي بستة أضعاف، ولذلك كان طول الليل والنهار معا أقل من أربع ساعات، وكان عدد الأيام في السنة أكثر من (2200) يوم، وفى ذلك يقول ربنا- تبارك وتعالى - في محكم كتابه: { إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ } (الأعراف:54).

وهذا وغيره من أمور الأرض مقدر بدقة فائقة، لوا اختلت موازينها قدر شعرة ما كان هذا الكوكب صالحا للعمران بالحياة التى نعرفها، ومن ذلك دقة حساب كل من البناء الداخلي والخارجي للأرض، كتلتها، وحجمها، ومتوسط كثافتها، ومتوسط بعدها عن كل من القمر والشمس، ومساحة كل من اليابسة والماء على سطحها، وتوزيع تضاريس هذا السطح، وتركيب كل من أغلفتها الصخرية، والمائية، والهوائية، والحياتية، وتوزيع مناطقها المناخية، وتتابع دورات كل من صخورها، ومياهها، وحياتها، وتصريف الرياح من حولها، وتعدد الظواهر المحيطة بها

والجارية على سطحها، من مثل الزلازل والبراكين، والعواصف والأعاصير، والسحب والأمطار، والرعد والبرق، والصواعق والحرائق، وسقوط الشهب والنيازك وغيرها، والاتزان الأرضي الدقيق بين العمليات الداخلية البانية، والعمليات الهدمية الخارجية، وبين المد والجزر، وبين كسوف الشمس وخسوف القمر، وتقدير كل من منازله ومنازل الشمس بين البروج، وغير ذلك كثير مما يتم بتقدير وإحكام ينفيان العشوائية والصدفة نفيا قاطعا! ويشهدان للخالق – سبحانه وتعالى - بطلاقة القدرة، وبديع الصنعة، وإتقان الخلق.

وأرضنا واحدة من أحد عشر كوكبا يدور كل منها في مدار محدد له حول شمسنا لتكون ما يعرف باسم "المجموعة الشمسية"، وشمسنا واحدة من حوالي تريليون نجم تكوّن مجرتنا (سكة التبانة أو درب اللبانة).

وكما أن لشمسنا توابع من الكواكب، والكويكبات، والأقمار والمذنبات، فمن المرجح أن يكون لكل نجم من هذه النجوم توابعه، انطلاقا من وحدة البناء في الكون.

ومجرتنا عبارة عن قرص مفلطح يبلغ طول قطره مائة ألف سنة ضوئية، وسمكه عشر ذلك. وبمجرتنا من النجوم وأشباهها، ومن السدم والدخان الكونى، ومن الثقوب السود ما يمثل تنوعا مذهلا في دقة توزيع كثافة المادة التي تترابط بالجاذبية في داخل المجرة.

ومن هذه النجوم ما يمر بمراحل الميلاد والطفولة، ومنها ما ينعم بمراحل الصبا والشباب، والنضج والكهولة، ومنها ما يرزح تحت وطأة الشيخوخة و أهوال الاحتضار!

والنجوم عبارة عن أفران نووية عملاقة تتخلق بداخلها أغلب العناصر التى تحتاجها الحياة الدنيا (من الإيدروجين إلى الحديد) وذلك بعملية تُعرف باسم "عملية الاندماج النووي"، وتنطلق الطاقة اللازمة لاستمرار هذا الوجود الكوني، أما بقية العناصر التي يزيد وزنها الذري على الوزن الذري للحديد فتتخلق في صفحة السماء باصطياد نوى ذرات الحديد لبعض اللبنات الأولية للمادة، ويتم ذلك كله بتقدير وإحكام يشهدان للخالق العظيم بالألوهية والربوبية والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

وإلى مشارف القرن العشرين كان الفلكيون يتصورون أن مجرتنا هي كل الكون، ومع تطور أجهزة الرصد الفلكي ثبت أن بالسماء من أمثال مجرتنا ما بين مائتي ألف مليون مجرة وثلاثمائة ألف مليون مجرة، بعضها أكبر من مجرتنا كثيرا، والبعض الآخر في حجم مجرتنا أو أقل قليلا.

وهذه الأعداد المهولة من المجرات مرتبة في مجموعات ونسق محكمة الأبعاد، والأعداد، والكتل، والأحجام، والكثافات، ومنضبطة الحركة والعلاقات انضباطا شديدا، ومن ذلك أن تكون عشرات من المجرات المتقاربة نسبيا تجمعات تعرف باسم "المجموعات المحلية"، وتلتقي عشرات من تلك المجموعات فيما يُعرف باسم "الحشود المجرية"، ثم "التجمعات المحلية العظمى"، ثم "الحشود المجرية

العظمى" إلى نهاية غير معلومة للسماء الدنيا التي لا يدرك الفلكيون منها أكثر من شريحة يُقدر قطرها بأكثر من (25 بليون سنة ضوئية) والسنة الضوئية يقدر طولها بحوالي (9.5 مليون مليون كيلومتر).

والسماء دائمة الاتساع، بمعنى أن المجرات دائمة التباعد عن بعضها البعض بسرعات تصل إلى ثلاثة أرباع سرعة الضوء المقدرة بحوالي ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية (أي أن المجرات تتباعد بسرعات قد تصل إلى 225 ألف كيلومتر في الثانية) وهى سرعات لا يمكن للإنسان اللحاق بها.

وهذا الاتساع الكوني لم يدرك إلا في الثلث الأول من القرن العشرين، وقد سبق القرآن الكريم بتقريره من قبل ألف وأربعمائة سنة وذلك بقول الحق - تبارك وتعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} (الذاريات:47).

وهذا البناء الدقيق للسماء وهي دائمة الاتساع تحكمه قوانين منضبطة انضباطا شديدا، حيث يدور كل جرم من أجرامها حول محوره، ويجرى في مدارات متعددة ومحددة له، دون توقف، أو تعطل، أو تخلف، ودون اصطدام أو ارتطام، أو خروج، أو حيود إلى آخر لحظة في هذا الوجود.

فمن الذي بني السماء بهذا الاتساع، ودقة البناء، وضبط حركات كل جرم من أجرامها بهذا الإحكام الشديد؟

ومن الذي يرعاها ويصونها ويمسكها من الزوال وهى دائمة الاتساع؟

وهل يمكن أن يكون كل ذلك نتاج العشوائية أو الصدفة؟ والجواب هو بالقطع لا!

وذلك لأن النظر بعين العقل في الكون وما به من كائنات يؤكد على أنه لا يمكن لأي منهما أن يكون قد أوجد نفسه بنفسه، أو أن يكون نتاج العشوائية أو الصدفة، بل لابد لإبداع كل ذلك من موجد عظيم له من صفات الكمال والجلال والجمال، ومن شمول العلم والحكمة، وطلاقة القدرة ما أبدع به هذا الخلق.

ويؤكد ذلك أن الاحتمالات الرياضية للصدفة معدومة انعداما كاملا في تفسير نشأة الكون، فإيجاد كون بهذا الاتساع، وإحكام البناء، وانتظام الحركة بالصدفة أو بطريقة عشوائية هو من الأمور التي تردها كل العمليات الإحصائية، ويرفضها كل عقل سليم.

وعلماء الفلك يجمعون اليوم على أن كوننا الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المحكم الحركة، والمنضبط في كل أمر من أموره، لابد له من مرجعية في خارجه، وهذه المرجعية لابد وأن تكون مغايرة للخلق مغايرة كاملة لكونها فوق كل من المكان والزمان، والمادة والطاقة وصدق الله العظيم الذي يقول عن ذاته العلية: {... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} (الشورى:11).

ويقول علماء الفلك كذلك إننا لو عدنا بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن فلابد وأن يلتقي كل شيء: المادة والطاقة، والمكان والزمان في نقطة واحدة متناهية الضخامة في كم المادة والطاقة ومتناهية الضآلة في الحجم (إلى الحد الذي تتوقف عنده كل

قوانين الفيزياء النظرية والكمية)، وأن هذا الجرم الابتدائي انفجر فتحول إلى سحابة من الدخان خُلقت منه الأرض وباقي أجرام ومكونات السماء.

وقد سبق القرآن الكريم بألف وأربعمائة سنة هذا التصور المكتسب، والذي لم يتبلور إلا في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين، وذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه: {أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ} (الأنبياء:30).

وبقوله سبحانه: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} (فصلت:11).

☆ ☆ ☆

ثالثا: الاحتمالات الرياضية للصدفة في خلق الحياة منعدمة انعداما كاملا

إن إيجاد خلية حية واحدة بمجرد تفاعل أشعة الشمس مع طين الأرض كما يدعى الدهريون من أصحاب نظرية التطور العضوي هو أمر أبعد من الخيال، لأن التجارب العملية قد أثبتت استحالة الصدفة في تكون لبنات بناء الخلية الحية وهى "الجزيئات البروتينية"، بل استحالة تكون جزيء واحد من "جزيئات الأحماض الأمينية" وهى لبنات بناء "الجزيئات البروتينية" بمحض الصدفة.

فالجزيء الواحد من جزيئات الأحماض الأمينية يتكون أساسا من خمسة عناصر هي الكربون، والإيدروجين، والأكسجين، والنيتروجين، والكبريت، وقد يضاف إليها الفسفور.

واختيار هذه العناصر بمحض الصدفة (من بين أكثر من مائة عنصر يعرفها الإنسان) يحتاج إلى مادة تبلغ أضعاف أضعاف مادة الكون المنظور، في زمن يساوى عمر الكون المقدر بما بين (13، 15 مليار سنة) مضروبا في رقم فلكي، مما يجعله إحصائيا من المستحيلات.

ثم إن الذرات في جزيء الحمض الأميني تترتب في أجساد جميع الكائنات الحية ترتيبا يساريا حول ذرة الكربون، فإذا ما مات الكائن أعادت هذه الجزيئات ترتيب ذراتها ترتيبا يمينيا بمعدلات ثابتة تعين على تحديد لحظة الوفاة بحساب نسبة الترتيب اليميني إلى الترتيب اليساري في الأحماض الأمينية المحفوظة في أية فضلة عضوية من فضلات جسد هذا الكائن.

وهذا الأمر مما يحير كلا من علماء الخلية الحية والكيمياء العضوية اليوم، حيث لا يستطيعون له تفسيرا، وتسمى هذه الظاهرة باسم "ظاهرة تغيير الاتجاهات في الأحماض الأمينية" (Racemization of the amino acids).

والأحماض الأمينية هي مواد جامدة، غير حية بذاتها، متبلورة، سهلة الذوبان في الماء في أغلب الأحوال، فلو فرضنا تكونها ذاتيا - وهذا محال - لذابت في الوسط المائي الذي تكونت فيه وضاعت، إذا لم يتم عزلها عنه فور تكونها.

كذلك فإن الأحماض الأمينية المناسبة لبناء الجزيء البروتيني لابد وأن تكون من نوع خاص يعرف باسم "النوع ألفا"، ويشترط أن تكون ذراته مرتبة حول ذرة الكربون ترتيبا يساريا، وأن تترتب هذه الجزيئات الأمينية نفسها ترتيبا يساريا كذلك في داخل الجزيء البروتيني، وأن ترتبط مع بعضها البعض برباط خاص يعرف باسم "الرابط الببتيدى" (Peptide Bond).

هذا بالإضافة إلى أن الأحماض الأمينية القادرة على بناء الجزيئات البروتينية هي عشرون حمضا أمينيا فقط من بين مليون من الأحماض الأمينية المعروفة.

وهذه القيود مجتمعة أو منفردة تجعل من تكون جزيء بروتيني واحد بمحض الصدفة أمرا مستحيلا!

وإذا استحال ذلك الأمر استحال تكون خلية حية واحدة بمحض الصدفة، خاصة إذا علمنا أن هذه الخلية الحية في جسم الإنسان لا يتجاوز طول قطرها - في المتوسط (03,)، وهي على قدر من تعقيد البناء الذي يفوق كل ما أنشأته المعارف العلمية والتقنية من مصانع، بل الذي تخيلته ولم تتمكن بعد من تنفيذه.

وتكفى في ذلك الإشارة إلى قدرة هذه الخلية الحية على إنتاج مائتي ألف نوع من البروتينات المعقدة التركيب، والمحكمة البناء والتي يعرف الإنسان منها أكثر من مليون نوع، كل نوع منها عبارة عن سلاسل محكمة البناء والترتيب والترابط من الأحماض الأمينية، وليست كلها صالحة لبناء أجساد الكائنات الحية!

☆ ☆ ☆

رابعا: وحدة البناء في الخلق تشير إلى وحدانية الخالق (سبحانه وتعالى)

إذا انتقلنا من الأحياء إلى الجمادات وجدنا أن الكون المادي الذي نعيش فيه – على عظم اتساعه وتعدد أجرامه، وشدة ترابطه، وانتظام حركاته، واتساق ظواهره، يمكن رده إلى مكونات أربعة هي: المادة، والطاقة، والمكان، والزمان. والمادة – على اختلاف صورها - ترد إلى أصل واحد هو غاز الإيدروجين، والطاقة – على تعدد أشكالها – ترد إلى الجاذبة العظمى، وبتفجير الذرة ثبت أن المادة والطاقة شيء سواء، كما ثبت أن المكان والزمان أمران متواصلان، فلا يوجد مكان بلا زمان، ولا زمان بلا مكان.

وبذلك تتحلل مكونات الكون المنظور إلى شيء واحد لا نعرف كنهه، ولكنه يمثل الوحدة العظمى في الوجود كله، وهذه الوحدة في بناء الكون ناطقة بوحدانية خالقه، وشاهدة له بالألوهية، والربوبية، والخالقية، وبالتنزه عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله.

كذلك فإن تواجد جميع المخلوقات (من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان) في زوجية واضحة يشهد للخالق – سبحانه وتعالى - بالتفرد بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

☆ ☆ ☆

خامسا: حدوث الكون وما فيه من كائنات وحتمية فناء كل ذلك يؤكد على حتمية الآخرة

تشير كل المعارف المكتسبة إلى أن الكون وجميع مكوناته لا يمكن وصفهما بالأزلية، أو بالأبدية، فنحن نرى الموت يحصد كل شيء في حياتنا: الإنسان، والحيوان، والنبات، ومختلف أشكال الجمادات، فكل موجود له أجل - طال أم قصر - والكون كانت له في الأصل بداية يحاول العلماء تقديرها بما بين (13, 15) مليار سنة، وكل ما له بداية مخلوق له أجله المحدد، فينتهي وجوده عند نهاية ذلك الأجل، وعلى ذلك فإن كوننا لابد وأنه ستكون له في يوم من الأيام نهاية، وهذا مما يؤكد على حتمية الآخرة، وضرورتها.

والأدلة على ذلك كثيرة منها موت كل من الأحياء والجمادات، وموت الأحياء معروف مشهور، وهو من الحقائق الكبرى للوجود.

ومن الأدلة على موت الجمادات ما نراه في صفحة السماء من تولد النجوم وتكورها، ثم إنكارها، ثم طمسها ثم فناؤها، وما نراه من تخلق الكواكب وانتثارها، وكثرة الشهب والنيازك، وتناقص كل شيء في الكون من الموجودات حتى تبلى.

فشمسنا تفقد من كتلتها على هيئة طاقة في كل ثانية من ثواني وجودها ما يعادل (4.6 مليون طن) من المادة، مما يشير إلى حتمية فنائها وفناء كل النجوم من حولها، وإن كان فناؤها سوف يتم بالأمر الإلهي: (كن فيكون) لأن القيامة لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا البطيئة الرتيبة، أما القيامة فتتم بالأمر الإلهي في فجائية مباغتة مذهلة يصفها القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى: { ...ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ } (الأعراف:187).

كذلك فإن الدراسات الفلكية أثبتت تباعد القمر عن الأرض بمعدل (3-4سم) في كل سنة مما يشير إلى حتمية ابتلاع الشمس له، وإن كان ذلك لن يتم بهذه السنة البطيئة بل بالأمر الإلهي: (كن فيكون) دون انتظار لعمل هذه السنة الكونية البطيئة التي أبقاها الخالق – سبحانه وتعالى - شاهدة على حتمية تهدم النظام الكوني بدءا بابتلاع الشمس للقمر كما أخبرنا ربنا – تبارك وتعالى - من قبل ألف وأربعمائة سنة بقوله العزيز: {وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} (القيامة: 9).

ومن الشواهد القاطعة على مرحلية الكون وحتمية فنائه – وإن طال عمره - انتقال الحرارة من الأجرام الحارة كالنجوم إلى الأجرام الباردة مثل الكواكب والكويكبات والأقمار والمذنبات، والمنطق العلمي يقول إن عملية الانتقال الحراري تلك لابد وأن تنتهي بفناء الكون.

☆ ☆ ☆

سادسا: محدودية قدرات الإنسان الحسية والعقلية تؤكد على حقيقة الغيب

مع التسليم بأن العقل من أَجَلِّ نعم الله – تعالى - على الإنسان، وأن من قبيل الشكر على هذه النعمة استخدامها إلى أقصى درجات إمكاناتها، إلا أنه لابد من الاعتراف بمحدودية قدرات الإنسان بحدود كل من مكانه، وزمانه، وقدرات حواسه وعقله.

وانطلاقا من ذلك فلابد من الاعتراف بأن جميع المعارف المكتسبة لا تعدو أن تكون محاولات بشرية لتفسير الكون وظواهره، من أجل الكشف عن عدد من سنن الله الحاكمة له، والاستفادة بها في عمارة الأرض وفى القيام بواجبات الاستخلاف فيها، أما ما وراء المادة فغيب لا يستطيع الإنسان أن يشق حجبه بقدرات عقله المحدودة وحواسه القاصرة، مع محدودية مكانه من الكون وزمانه (أي أجله)، وعلى ذلك فالإنسان محتاج في معرفة بعض الغيوب إلى علم أكبر من علمه، وهذا العلم لا يمكن أن يصل الإنسان إليه إلا ببيان من خالقه، وهذا مما يؤكد على حاجة الإنسان دوما إلى الدين الذي هو بيان من الله – تعالى - إلى الإنسان في القضايا التي يعلم ربنا - تبارك وتعالى - بعلمه المحيط عجز الإنسان عجزا كاملا عن وضع أية ضوابط صحيحة لنفسه فيها.

ومن حقائق الدين ما يجيب على العديد من الأسئلة الكلية التي تتردد في ذهن الإنسان، زادت ثقافته أو قلت، وطال عمره أو قصر، وعلا قدره في المجتمع أو انحط، وذلك من مثل: من أنا؟ من الذي أوجدني في هذه الحياة؟

ما هي رسالتي فيها؟ كيف يمكن لي تحقيق هذه الرسالة؟ ثم ما هو مصيري بعد هذه الحياة؟

والإنسان إذا لم يوفق في الحصول على إجابات صحيحة على هذه الأسئلة الكلية فإنه لا يمكن له أن يحيا على هذه الأرض حياة مستقرة، أو أن يحقق الهدف من وجوده على سطحها، أو أن يكون راضيا عن حاله!

وإنسان هذا شأنه لابد له من أن يعيش قلقا، مضطربا، بلا هدف ولا غاية سوى المتع المادية الفانية، التى تدفع الإنسان – في أغلب الأحوال - إلى الوقوع في العديد من المخالفات السلوكية، والتجاوزات الأخلاقية، والمظالم الجائرة للنفس وللغير (أفرادا وجماعات) خاصة في فورة الشباب، وعنفوان الفتوة، وفي طغيان الجاه والسلطان، وطغيان غيرهما من أسباب القوة المادية، وإن كان ذلك غالبا ما ينتهي بانتقام القدرة الإلهية المهيمنة على كل شيء، أو ينتهي إلى ضعف الإنسان في مراحل الكهولة والشيخوخة، وما يتراكم فيها من مشاعر الحسرة والندم، والقلق والخوف، والحيرة والضياع في انتظار الأجل المحتوم، والغيب المخبوء، دون أمل في مستقبل بعد الموت لم يعمل من أجله شيئا في حياته الدنيا التي أهدر فيها عمره بلا هدف محدد، أو غاية مقصودة، وهنا تتجلى مرة ثانية حاجة الإنسان إلى الدين.

☆ ☆ ☆

سابعا: حاجة الإنسان الفطرية إلى الدين تشهد بوجود الله

يؤكد لنا التاريخ المدون أن الإنسان لا يمكنه أن يحيا على هذه الأرض حياة سوية بغير دين، وأن الدين لا يمكن أن يكون صناعية بشرية؛ وذلك لأن الدين هو بيان من الخالق – سبحانه وتعالى - للإنسان في القضايا التي يعلم ربنا – تبارك وتعالى - بعلمه المحيط عجز الإنسان عجزا كاملا عن وضع أية ضوابط صحيحة لنفسه فيها، وذلك من مثل قضايا العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، وذلك لكون هذه القضايا إما من الغيوب المطلقة كقضية العقيدة، أو من الأوامر الإلهية الخالصة كقضية العبادة، أو هي من ضوابط السلوك كدساتير الأخلاق، وفقه المعاملات.

والعقيدة الصحيحة تطالب الناس جميعا بالإيمان بالله –تعالى - ربا واحدا أحدا، فردا صمدا، (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة ولا ولد) كما تطالبهم بالإيمان بأن هذا الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد هو خالق كل شيء، وأن كل شيء سواه مخلوق بقدرة هذا الخالق العظيم، التي لا تحدها حدود، ولا يعوقها عائق.

وهذا الخالق العظيم مغاير في ذاته وأسمائه وصفاته لجميع خلقة، فلا يحده أى من المكان أو الزمان لأنه – سبحانه وتعالى - هو خالقهما، ولا يتشكل من المادة أو الطاقة لأنه – تعالى- هو مبدعهما، والمخلوق لا يحد خالقه أبدا.

والإنسان - بحكم تكوينه - لا يستطيع إدراك سوى الأشياء المحسوسة، أي: المحددة بكل من المكان والزمان، والمُشَكَّلة بشكل من أشكال المادة أو الطاقة أو من كليهما معا. ولما كان الخالق العظيم منزها عن حدود كل من المكان والزمان، والمادة والطاقة، أي: منزها عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، صعب على الإنسان معرفة خالقه دون وحى من هذا الخالق العظيم، وإن أدرك كل إنسان عاقل بديع صنع الله في نفسه، وفى الآفاق من حوله.

ولذلك عَرَّف ربنا – تبارك وتعالى - كلا من أبوينا آدم وحواء – عليهما السلام - لحظة خلقهما مَنْ الذي خلقهما، كما عرفهما على حقيقة رسالة كل منهما في الحياة الدنيا، ومصيره من بعدها. وبذلك كان آدم – عليه السلام – أول الأنبياء، بل كان نبيا مكلما كما وصفه خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح.

وعلم آدم ذريته، وكلما عاشت البشرية بنور الهداية الربانية كلما سعدت وأسعدت، ولكن الإنسان فيه ميل للنسيان ورغبة في الخروج على الحدود التى حددها له الله فَيَضل ويُضِل، ويَشقى ويُشقى حتى تغرق البشرية في ظلام دامس من الضلالات، والمظالم، والضياع التام فيرسل الله – تعالى- نبيا يصطفيه من الناس ليردهم إلى الدين الصحيح، إن كان الدين لا يزال موجودا بين أيديهم وإن انحرفوا عنه، ولكن إذا كان الدين قد ضاع أو حُرِّف وبُدِّل أرسل الله – تعالى- رسولا مصطفى من بين الناس، ينزل عليه رسالة جديدة من نفس المصدر، بنفس العقيدة مؤكدا على وحدانية

الخالق سبحانه وتعالى (أن أعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، وعلى وحدة رسالة السماء، وعلى الإيمان بجميع الأنبياء، وعلى الأخوة بين الناس جميعا.

وظلت البشرية - عبر تاريخها الطويل - تتأرجح بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وظلت الهداية الإلهية تتنزل إلى الناس في كل أمة من أمم الأرض لقول ربنا – تبارك تعالى: {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ} (فاطر:24)، حتى بلغ عدد الأنبياء مائة وعشرين ألف نبي، اصطفى الله –تعالى - من بينهم ثلاثمائة وبضعة عشر رسولا.

وكان لابد وأن يكون لتنزل الوحي من خاتمة وكان ختامها بعثة النبي والرسول الخاتم، سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد بن عبد الله النبي العربي صلى الله عليه وسلم، فختمت ببعثته النبوات، وبرسالته كل الرسالات السماوية التي نسخها القرآن الكريم بعد أن ضيع أتباعها أصول تلك الرسالات، وأشبعوا ما بقى منها من ذكريات كثيرا من التحريف والتبديل والتغيير، الذي أخرجها عن إطارها الرباني، وجعلها عاجزة عن هداية أتباعها، خاصة وأن هذه الرسالات السابقة كلها كانت قد نقلت مشافهة من الآباء للأبناء، ومن الأجداد للأحفاد، وحين جاء وقت تدوينها تم ذلك بعد عدة قرون من موت أو رفع الرسل الذين تلقوها. وتم تدوين كل منها بلغات غير لغة الوحي بها، وبأيدي أناس مجهولين، ليسوا بالأنبياء ولا المرسلين، وليس لأي منهم أدنى قدر من العصمة اللازمة في التبليغ عن الله تعالى.

ومن هنا كانت الرسالة الخاتمة ناسخة لكل ما أنزل قبلها من رسالات، ومهيمنة عليها هيمنة كاملة.

☆ ☆ ☆

ثامنا: حفظ كل من القرآن والسنة يثبت أن الدين عند الله الإسلام

من ركائز العقيدة الإسلامية: الإيمان بالله – تعالى - وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. والإنسان - المحبوسة روحه في هذا الجسد الطيني - لا تستطيع حواسه المحدودة إدراك الذات الإلهية، وإن كان الإيمان بالله – تعالى - مطبوعا فى جبلته.

هذا الإنسان المفطور على الإيمان بالله - تعالى- إن لم يهتدِ إلى العقيدة الصحيحة، فإما أن يصطنع لنفسه عقيدة فاسدة يملأ بها الحاجة الداخلية في ذاته إلى العبادة، أو أن يعيش في هذه الدنيا هائما على وجهه بغير عقيدة، وكلا الحالين لن يفيده بشيء في الدنيا ولا في الآخرة، بل سوف تُلْقَى كل من أعماله وكفره أو عقيدته الفاسدة في وجهه يوم القيامة كالخرقة البالية، مهما أخلص لها وتفانى في خدمتها!

أما الملائكة فهم عالم غيبي لا توجد لدينا وسيلة مادية لإثبات وجودهم، ولولا أن الله – تعالى- قد أخبرنا بوجودهم ما كان أمامنا من وسيلة لمعرفة ذلك.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الرسل السابقين وكتبهم، فالتاريخ المكتوب لم يدون لنا شيئا عنهم، ولا عنها، ولولا إخبار الله –تعالى- لنا عن بعضهم ما كان أمامنا من وسيلة للتعرف عليهم ولا على أممهم.

وأما عن اليوم الآخر، وما فيه من بعث، وحشر، وحساب وجزاء، وميزان وصراط، وجنة ونار، فلولا أن الله – تعالى- قد أخبرنا عن ذلك ما كان أمامنا من وسيلة للتعرف عليه، على الرغم من توفر كل الشواهد المادية العديدة على حتمية فناء الكون وفناء كل ما فيه من أحياء وجمادات.

من هنا كانت ضرورة أن تكون العقيدة بيانا ربانيا خالصا لا يداخله أدنى قدر من التصورات البشرية وإلا كانت عقيدة فاسدة، تقود أتباعها حتما إلى النار مهما أخلصوا لها وتفانوا في خدمتها!

والركيزة الثانية للدين هي العبادة، وهى بمفهومها اللغوي قمة الخضوع لله بالطاعة، ولا توجد طاعة بغير أوامر، فإذا لم يتلق الإنسان بيانا من الله – تعالى- يوضح تفاصيل العبادة التى يرتضيها من عباده، فإما أن يبتدع الإنسان من عنده أنماطا من العبادة لم يفرضها عليه خالقه، أو لا يعبد هذا الخالق العظيم، علما بأن عبادته – تعالى- من أول أسباب وجود الإنسان في هذه الحياة الدنيا.

كذلك لا يمكن لعاقل أن يتخيل إمكانية ابتداع الإنسان لنمط من العبادة، ثم افتراض قبولها من الله تعالى، لما في ذلك من منافاة لحقيقة العبودية لله الخالق، ومن تألٍّ على جلاله، وهو رب هذا الكون ومليكه، وهذا موقف يرفضه العقل السليم، والمنطق السوي رفضا كاملا.

أما الأخلاق والمعاملات فهما من ركائز الدين، ومن ضوابط السلوك البشري، والتاريخ يؤكد لنا عجز الإنسان عجزا كاملاً عن وضع ضوابط صحيحة لسلوكه، وما تعج به الأرض اليوم من قهر واستبداد، وجور ومظالم، ومن كثرة بحار الدماء، وأكوام الأشلاء، وساحات الحروب وما تخلفه من الخراب والدمار، ومن مختلف صور ضياع الإنسان وتحلله، وانحرافه ومفاسده، وانفلاته من جميع الضوابط الربانية لأخلاقه وسلوكه، لهو خير دليل على عجز الإنسان عن وضع ضوابط صحيحة لنفسه في دائرة الأخلاق والسلوك.

وإذا سلمنا بهذه المقدمات التى تقضى بأن الإنسان لا يمكنه أن يحيا على هذه الأرض حياة سوية بغير دين، وأن الدين لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، ظهرت لنا العلامة الفارقة بين دين صحيح ودين غير صحيح، وهذه العلامة هي دقة حفظ الأصول السماوية للدين.

ولما كان الوحي السماوي الوحيد المحفوظ بين أيدي الناس اليوم في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى يزيد على أربعة عشر قرنا هو القرآن الكريم الذي تعهد ربنا – تبارك وتعالى - بحفظه تعهدا مطلقا حتى يبقى شاهدا على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه هداية رب العالمين، وشاهدا للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة وبذلك تتضح حاجة الإنسانية كلها إلى الإسلام العظيم.

فكما أن إلهنا واحد فلابد وأن تكون هدايته للبشرية واحدة، وهذه الهداية علمها الله – تعالى - لأبينا آدم – عليه السلام - لحظة خلقه، وأنزلها على عدد كبير من أنبيائه ورسله، ثم أكملها وأتمها، وحفظها في القرآن الكريم، وفى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين، ولذلك قال تعالى: { إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ } (آل عمران: 19).

ومن معاني هذه الآية الكريمة أن الدين الوحيد الذي يرتضيه ربنا – تبارك وتعالى - من عباده هو الإسلام بمعنى الطاعة لأوامر الله – تعالى - واجتناب نواهيه، وتحكيم شرعه الذي أنزله في محكم كتابه، ودعوة الناس جميعاً إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتوحيد الله – تعالى - توحيدا كاملا (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة ولا ولد) وتنزيهه – جل شأنه - عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله.

ومن معاني هذه الآية الكريمة أيضا: أن كل نبي من أنبياء الله، وكل رسول من رسله قد بُعث بالإسلام، وإن اختلفت تفاصيل بعض التشريعات باختلاف الأزمنة والبيئات.

وتؤكد الآية الكريمة أن اختلاف أهل الكتاب في قضية التوحيد جاء من قبيل البغي والاعتداء والظلم بينهم حينما تخلوا عن دين الله، وحرفوا كتبه، واشتروا بها ثمنا قليلا، افتراء على الله، واستهانة بعقابه، ولذلك ختمت الآية الكريمة بتهديد شديد من الله – تعالى - لهم يقول فيه: {... وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ} (آل عمران: 19).

ولما كانت بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تمثل ختام النبوة، وختم رسالات السماء فقد تعهد ربنا – تبارك وتعالى - بحفظ هذه الرسالة الخاتمة في القرآن الكريم، وفي سنة خاتم الأنبياء المرسلين صلى الله عليه وسلم فقال عز من قائل: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: 9).

ومجرد حفظ القرآن الكريم على مدى أربعة عشر قرنا أو يزيد، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) دون أن يضاف إليه أو ينقص منه حرف واحد هو من معجزات هذا الكتاب الخالد، ومن الشهادات الدالة على صدقه، وعلى صدق هذا الوعد الإلهي المطلق الذي قطعه ربنا – تبارك وتعالى- على ذاته العلية بحفظه، وعلى صدق الرسول الخاتم الذي تلقاه صلى الله عليه وسلم.

وهذا الوعد الإلهي القاطع يؤكد أن القرآن الكريم سيبقى محفوظا بحفظ الله – تعالى - إلى ما شاء الله رب العالمين، وسيبقى شاهدا على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين، وشاهدا للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

كما يؤكد على أن الإسلام كان دين كل نبي وكل رسول من لدن أبينا آدم - عليه السلام - إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين، ولكنه اكتمل، وتم، وحفظ في القرآن الكريم وفي سنة خاتم النبيين، ولذلك خاطبه الله - تعالى- بقوله العزيز: {...اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً...} (المائدة: 3).

☆ ☆ ☆

تاسعا: إعجاز القرآن الكريم للخلق أجمعين بمعنى عجزهم جميعا عن الإتيان بشيء من مثله يشهد بأنه كلام الله

سبق أن أشرنا إلى أن القرآن الكريم هو الصورة الوحيدة من كلام رب العالمين المحفوظ بين أيدي الناس اليوم بنفس لغة وحيه (اللغة العربية) ولذلك تتعدد جوانب الإعجاز فيه بتعدد زوايا النظر المحايد إليه (بمعنى عجز الإنس والجن فرادى ومجتمعين عن الإتيان بشيء من مثله)، ومن ذلك ما يمكن إيجازه فيما يلي:

1- الإعجاز اللغوي (الأدبي، البياني، البلاغي، النظمي، اللفظي والدلالي)، حيث جاء القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا بتحدٍ صريح للإنس والجن - فرادى ومجتمعين - أن يأتوا بشيء من مثله، ولا يزال هذا التحدي قائما دون أن يتقدم عاقل ليقول إنه استطاع نظم سورة من مثل سور القرآن الكريم.

وقد كان العرب في زمن الوحي هم أرباب البلاغة والفصاحة وحسن البيان، واعترف الكفار منهم - قبل المسلمين - بتفوق القرآن الكريم على كل إبداعاتهم اللغوية من شعر ونثر (انظر كتاب "التعبير القرآني" للأستاذ الدكتور فاضل صالح السمرائى).

2- الإعجاز الاعتقادي: بمعنى أن توحيد الله – تعالى- توحيدا مطلقا فوق جميع خلقه هو أصح من الشرك بالله، وأن تنزيه الله – سبحانه وتعالى - عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله أفضل من الانحطاط بمدلول الألوهية إلى مستوى الإنسان أو الحيوان أو الجماد، وهذا التنزيه للذات الإلهية يتطابق مع كل منطق سوى، ومع كل معطيات العلم الذي ينادى اليوم بأن الكون الذي نحيا فيه لابد له من مرجعية في خارجه، تكون مغايرة له مغايرة كاملة، لا يحدها أي من المكان أو الزمان، ولا يشكلها أي من المادة أو الطاقة.

وخلق الكون في زوجية واضحة (من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان) وبناؤه على نظام واحد من الذرة إلى المجموعة الشمسية إلى المجرة يؤكد على وحدانية الخالق - سبحانه وتعالى - وعلى تفرده فوق جميع خلقه بصفات الألوهية، والربوبية، والخالقية، والوحدانية المطلقة.

كذلك فإن الإيمان بوحدة رسالة السماء (المنطلقة من حقيقة الإيمان بوحدانية الخالق سبحانه وتعالى) وبالأخوة بين الأنبياء (انطلاقا من الإيمان برسالتهم الواحدة)، وبالأخوة بين الناس جميعاً باعتبارهم إخوة وأخوات ينتهي نسبهم إلى أب واحد وأم واحدة هما (آدم وحواء عليهما السلام)، هو أفضل من التحلق حول نبي واحد، والمبالغة في تعظيم شأنه حتى الارتقاء به وهما خاطئا إلى مقام الألوهية، ونسيان بقية الأنبياء والمرسلين أو إنكارهم.

كذلك فإن المؤاخاة بين الناس جميعا - على اختلاف أعراقهم، وألوانهم، ولهجاتهم - هو أفضل من التمييز العرقي، أو الطبقي، أو الديني، أو على أي أساس آخر.

والإيمان بعوالم الغيب التي أخبر عنها القرآن الكريم من مثل عوالم الملائكة والجن أفضل من إنكارها بغير علم، والمعطيات الكلية للعلوم تؤكد على أن الغيوب تحيط بنا من كل جانب، وتكفى في ذلك الإشارة إلى معطيات علوم الفلك التي تعترف بأن ما يراه الفلكيون في الجزء المدرك من السماء الدنيا لا يكاد يتعدى (10%) من حقيقة ما هو موجود فيها من مختلف صور المادة والطاقة المحسوبة رياضيا حسب قوانين الفيزياء الفلكية.

والإيمان بأن العدل الإلهي يقتضى ألا يحاسب الناس بدون إنذار، وأنه ما من بقعة مأهولة من بقاع هذه الأرض إلا وأرسل إلى أهلها نبي أو رسول، والإيمان بهم جميعا وبما أرسلوا به أفضل من التحلق حول نبي واحد منهم، وقد أخبرنا القرآن الكريم عن خمسة وعشرين من الأنبياء والمرسلين لم يدون التاريخ شيئاً عنهم وإن كانت آثار أممهم تملأ جنبات الأرض، والدراسات الآثارية الحديثة بدأت في الكشف عن عدد منها.

والإيمان بالآخرة وبما فيها من بعث، وحشر، وحساب وجزاء أفضل من إنكارها، والإشارات العلمية كلها تشير إلى حتمية فناء الكون والكائنات.

كذلك فإن كثيرين من عتاة المجرمين ومن الحكام والمتجبرين يفلتون من سيف العدالة في الدنيا، ولابد من الاقتصاص منهم في الآخرة، وهذا الأمر وحده كاف لإثبات حتمية الآخرة وضرورتها.

والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره هو تسليم لله تعالى بأنه هو رب هذا الكون ومليكه، وسيده ومدبر أمره، فلا يحدث فيه أمر إلا لحكمة بالغة، وهنا تتجلى قيمة الإيمان بالقضاء والقدر، لأن الحرمان من هذا التسليم لله تعالى هو مبعث للشقاء بلا طائل لأن قدر الله نافذ - رضي الإنسان أو أبى - وفى الرضا إيمان بالله – تعالى - وتسليم بقضائه وطاعة له، وراحة للضمير الإنساني، بينما في الاعتراض كفر بقضاء الله وقدره، ورفض لحكمه، وإرهاق للنفس دون طائل، وقدر الله - تعالى - نافذ لا محالة.

3- الإعجاز التعبدي: فما من فريضة فرضها الله- تعالى - على عباده في محكم كتابه إلا ومردودها الإيجابي على المتعبد نفسه ظاهر للعيان: من الشهادتين بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، إلى إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً. وكل عبادة من هذه العبادات أفضل من كل الوثنيات الموضوعة عند المتعبدين من أهل الكتاب وغيرهم.

وتكفى في ذلك الإشارة إلى ما ثبت من توسط مكة المكرمة لليابسة، مما يؤكد على أنها أقدم بقاع الأرض، وبها أول بيت وضع للناس؛ كما تكفى الإشارة إلى إثبات أن خط الطول المار بمكة المكرمة هو خط الطول الوحيد المتجه إلى الشمال الحقيقي

للأرض، بينما يميل خط طول جرينتش – الذي فرض على العالم بحد السيف - (7.5) درجة إلى الغرب، ولذلك يجب اتخاذ خط طول مكة المكرمة خط طول الأساس لجميع الأرض بمعنى أن ما يقع إلى الشرق منه يعتبر شرقا، وما يقع إلى الغرب منه يعتبر غربا، حتى ينتظم شكل خرائط الأرض.

4- إعجاز الدستور الأخلاقي: بمعنى كماله ومواءمته للطبيعة البشرية مواءمة كاملة بغير غلو ولا إقلال (انظر: دستور الأخلاق في القرآن للدكتور محمد عبد الله دراز - رحمه الله).

5- الإعجاز التشريعي: ويتضح من عدم المماثلة بين الشريعة الإلهية والقانون الوضعي، فالشريعة تتسم بالكمال، والسمو، والدوام في كل أمر شرعته، من الأمر بالشورى إلى تشريعات الأسرة، إلى تحريم الخمر والميسر، إلى تشريعات الإثبات والتعاقد، إلى تشريعات كل من الحدود والتعازير، والكفارات المختلفة، وغيرها.

وكل واحد من هذه التشريعات الإلهية له حكمته ومردودة الإيجابي على المجتمع، بينما جميع القوانين الوضعية تتسم بالنقص، وعدم الكمال، وفقدان القدرة على الاستمرارية (انظر كتاب التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي للشهيد عبد القادر عودة).

6- الإعجاز التاريخي: ذكر القرآن الكريم قصة خلق أبوينا آدم وحواء - عليهما السلام - بشيء من التفصيل، والمعطيات الكلية للمعارف المكتسبة تؤكد ذلك وتدعمه. كذلك ذكر هذا الكتاب العزيز قصة أربعة وعشرين نبياً آخرين، وكيف تفاعلت أمة كل نبي منهم معه، وماذا كان جزاؤها، والاكتشافات الآثارية تؤكد دقة كل ما جاء في كتاب الله عن كل أمة من هذه الأمم، وعما جاء عن أعداد من الصالحين والطالحين من الرجال والنساء الذين عايشوا تلك الأمم، مما يجعل هذا القصص القرآني شهادة صدق لكتاب الله، ومن ذلك الكشف عن كل من بقايا سفينة نبي الله نوح - عليه السلام - فوق جبل الجودى، وعن إرم ذات العماد في الجنوب الشرقي من صحراء الربع الخالي، وعن آثار كل من قوم صالح، وقوم لوط، وآثار كل من نبي الله سليمان وملكة سبأ، وفرعون موسى، وأصحاب الكهف، وغيرهم (انظر كتاب الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم لكاتب هذه الدعوة).

7- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: يحوى القرآن الكريم أكثر من ألف آية بكل منها إشارة أو أكثر من إشارة علمية إلى حقيقة من حقائق الكون، وجاء ذلك بين ثنايا آيات القرآن الحاملة لركائز الدين الأربع الأساسية (من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات).

وهذه الحقائق العلمية - في مجملها - لم تصل إليها المعارف المكتسبة إلا في القرنين الماضيين، وأغلبها لم تتبلور مفاهيمها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين.

وهذا السبق العلمي للقرآن الكريم (في زمن لم يتوفر للإنسان أية وسيلة من وسائل الكشف العلمي) لا يمكن تفسيره إلا بكون هذا الكتاب العزيز كلام الله الخالق في

صفائه الرباني، وإشراقاته النورانية، وأنه حفظ حفظاً كاملاً بوعد من الله – تعالى- وهذا السبق بإيراد العديد من حقائق الكون، والإنسان والحياة، هو ما يجمع تحت مسمى "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" (انظر كتب السماء، والأرض، والنبات، والحيوان، وخلق الإنسان، والإنسان من الميلاد إلى البعث لكاتب هذه الدعوة).

8- الإعجاز النفسي: يخاطب القرآن الكريم النفس الإنسانية خطاب الخبير العليم بدخائلها، ويرتقي بها في معارج الله كما لا يقوى أي خطاب آخر على الارتقاء بها، ويفصل دقائقها، ومزاياها، وأمراضها وعللها تفصيل العليم بخباياها، الخبير بمزايها ونقائصها (انظر مؤلفات الأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتى – رحمه الله).

9- الإعجاز الإنبائي في القرآن الكريم: أخبر القرآن الكريم بعدد من الأحداث قبل وقوعها، وقد تم تحقق جزء منها، ولا زالت الإنسانية في انتظار تحقق الباقي من هذه الأحداث، ومن ذلك قوله – تعالى: {الم. غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأرض وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ} (الروم1-4).

10- الإعجاز الاقتصادي: ويكفي في ذلك الإشارة إلى تحريم الربا بمختلف صوره وأشكاله، خاصة في التعاملات المالية، والتشديد في إجراءات الإثبات والتعاقد عند كتابة العقود والحقوق والديون، والعدل المطلق في أحكام المواريث، والتحذير من الغش في الصنعة، ومن تطفيف الكيل والميزان في التجارة.

11- الإعجاز الإداري: ويتلخص في الحرص على تولية الكفاءات العالية، وفي المحافظة على إنسانية الإنسان، والعمل على تطوير قدراته باستمرار (وذلك بتشجيعه على كسب المعارف، وتنمية المهارات، ومكافأته على كل انجاز ناجح يحققه)، والعدل بين المرؤوسين، والمساواة بينهم في الحقوق والواجبات، والعمل على تطوير قدرات كل فرد منهم باستمرار.

12- الإعجاز التربوي: ويتلخص في توصيات القرآن الكريم بالحرص على اكتساب المعارف النافعة، وعلي تحليلها وغربلتها بمعايير الإسلام، والدعوة إلى اكتساب العلم، وإلى توقير العلماء، والتركيز على شمولية المعرفة الإنسانية مع احترام التخصص.

13- إعجاز الشمول: بمعنى قدرة القرآن الكريم على تناول كل شيء في الوجود ورده لحكم الله خالق الوجود، وقدرته على تقديم الإجابات الشافية لكل ما يعن للفكر الإنساني من تساؤلات، وعلى التشريع لكل من الفرد، والأسرة، والمجتمع، والدولة، وللناس أجمعين في كل مكان وفي كل زمان بعدل منقطع النظير، وعلى تناول كليات الأشياء تاركا التفاصيل لاجتهاد الإنسان بما يعجز عنه كل كتب الأرض، ومن ذلك التشريع للأسرة في الزواج، والطلاق، والعدة،

والميراث، والأمر بالمساواة بين الأبناء، والحض على صلات الرحم، ورعاية الأيتام، والأرامل، والعجزة وتوقير كبار السن، ورحمة الصغار، وحسن التواصل بين الناس جميعا.

14- الإعجاز الصوتي: يتميز القرآن الكريم بسلاسة أسلوبه، وبالدقة البالغة في موافقة ألفاظه للمعاني المقصودة منها، مع السهولة في تركيب جمله، والانسياب في النطق بآياته، مع روعة الجرس الذي ييسر حفظه، ويطرب السمع والعقل والقلب لموافقة الصوت للمعنى السامي المقصود، جذبا لانتباه كل من القارئ والسامع، وتأثيرا في أعماق كل منهما.

والجرس الجميل هو ميزة صوتية للقرآن الكريم كله يعجز عنها أي أسلوب آخر، لأنه يحرك كلا من العقل والقلب نحو سلسلة من المعاني المتصلة بالكلمة التي تتداعى مع غيرها من كلمات الآية الواحدة، ومع كلمات ما يسبقها وما يلحق بها من آيات، مع تكامل في المعنى، وانسجام في الصوت، ويسر في الانتقال، وجمال في الإيقاع لا تستطيعه أساليب المخلوقين فرادى ومجتمعين.

15- إعجاز رسم الحروف في القرآن الكريم: يتميز الحرف العربي بالجمال والتناسق والطواعية للتشكيل، وقد وضعت لكتابة المصحف العثماني قواعد لخطه ولرسم حروف كلماته، ومن هذه القواعد: الحذف، والزيادة، والهمزة، والبدل، والفصل، والوصل، وذلك من أجل استيعاب كل اللهجات العربية، وفي مقدمتها لهجة قريش، وغيرها من لهجات العرب، وذلك من أجل إمكانية حمل الآية الواحدة لأكثر من معنى واحد، كلها يتحملها النص، في تكامل لا يعرف التنافر أو التضاد، وليس هذا لغير القرآن الكريم.

16- إعجاز الحفظ للقرآن الكريم: حفظ كتاب الله على مدى يزيد على أربعة عشر قرنا، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) دون خطأ واحد في اللغة، أو في العقيدة، أو في العبادة، أو في دستوري الأخلاق والمعاملات، أو في الإشارات العلمية، أو في سرد الأحداث التاريخية، أو في توجيه الخطاب إلى النفس الإنسانية، أو في التركيز على عدد من القواعد الاقتصادية والإدارية، أو في غير ذلك من الأمور التي جاء بها هذا الكتاب العزيز.

ويتجلى إعجاز الحفظ للقرآن الكريم بصورة أوقع في ضياع جميع أصول الرسالات السابقة بلا استثناء، وتعرض ما بقي عن بعضها من ذكريات للتحريف تلو التحريف، وللتأليف والتزييف، خاصة وأن هذه الذكريات قد دونت بلغات غير لغة الوحي بكل منها، وقد كتبت بعد قرون من موت أو رفع الرسل الذين أرسلوا بها وجمعت من أفواه الناس اعتمادا على ما يمكن أن تكون قد وعته الذاكرة وفهمه العقل؛ ثم صيغت بأقلام من هم ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين، وظلت تتعرض للتحرير تلو التحرير، وللحذف والإضافة، وللتحريف والتزوير إلى يومنا الراهن، وسوف تبقى كذلك إلى قيام الساعة.

17- إعجاز التحدي بالقرآن الكريم: جاء بالقرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدى كلا من الإنس والجن على أن يأتوا بشيء من مثله: في أسلوبه، ومحتواه، ومضمونه دون خطأ واحد على كثرة الموضوعات التي تناولها هذا الكتاب العزيز، وإلى اليوم لم يتقدم عاقل فيقول إنه استطاع الإتيان بشيء من مثل سورة واحدة من قصار سور القرآن الكريم - على كثرة محاولات أعداد من الشياطين والمجانين من المجادلين بالباطل - الذين فشلوا في ذلك التحدي فشلا ذريعا.

كل هذه الجوانب (وغيرها كثير) مما يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم نبراس الهداية الربانية للخلق أجمعين إلى يوم الدين، وحجة الله -تعالى - على عباده قاطبة، وشهادة للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

☆ ☆ ☆

عاشرا:: كل الظواهر الطبيعية هي من علامات قدرة الله

قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ. قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ. وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (القصص71: -73).

(أ) تبادل الليل والنهار في منظور العلوم الكونية:

إن التبادل المنتظم بين الليل المظلم والنهار المنير على نصفي الكرة الأرضية هو من الضرورات اللازمة للحياة الأرضية، ولاستمرارية وجودها بصورها المختلفة حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، فبهذا التبادل بين الظلمة والنور يتم التحكم في توزيع ما يصل إلى الأرض من الطاقة الشمسية، وبالتالي يعين على التحكم في درجات الحرارة، والرطوبة، وكميات الضوء في مختلف البيئات الأرضية، كما يعين على التحكم في العديد من الأنشطة الحياتية وغير الحياتية من مثل التنفس والأيض في كل من الإنسان والحيوان، وعمليات النتح والتمثيل الضوئي في النباتات، كما يتم ضبط التركيب الكيميائي للغلافين الغازي والمائي المحيطين بالأرض، وضبط الكثير من دورات النشاط الأرضي من مثل دورة الماء بين الأرض والطبقات الدنيا من غلافها الغازي، وحركات الرياح والسحاب في هذا الغلاف، وتوزيع نزول المطر منه (بتقدير من الله)، كما تتم دورة تعرية الصخور بتفتيتها، ونقل هذا الفتات أو إبقائه في مكانه، من أجل تكوين التربة، أو الرسوبيات والصخور الرسوبية وما بها من خيرات أرضية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن في اختلاف الليل المظلم والنهار المنير تقسيما لليوم الأرضي إلى فترة للحركة والعمل والنشاط، وفترة للراحة والاستجمام والسكون، فالإنسان - على سبيل المثال - محتاج إلى السكينة بالليل كي يخلد فيه إلى شيء من الراحة النفسية بالعبادة والتفكر، والراحة البدنية بالاسترخاء والنوم والإغفاء حتى يستعيد كلا من نشاطه البدني والذهني، ويستجمع قواه فيتهيأ للعمل بالنهار التالي وما يتطلبه ذلك من القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، وقد ثبت علميا أن أفضل النوم يكون بالليل، وأقله فائدة هو نوم النهار (فيما عدا فترة القيلولة)، كما ثبت أن كثرة النوم بالنهار تؤثر في نشاط الدورة الدموية في جسم الإنسان، وتتهدده بالتيبس في العضلات، وتؤدي إلى تراكم الدهون، وزيادة الوزن، وإلى العديد من صور التوتر العصبي والقلق النفسي، وربما كان من مبررات التوجيه الرباني بالنوم بالليل والنشاط بالنهار، أن طبقات الحماية التي أوجدها ربنا تبارك وتعالى في الغلاف الغازي للأرض، ومن أهمها النطق المتأينة Ionospheres)) وما بها من أحزمة الإشعاع Radiation Belts)) تتمدد بالنهار فتزداد قدراتها على حماية الحياة الأرضية مما يسمح للإنسان بالحركة والنشاط دون مخاطر، وهذه النطق

تتكمش انكماشا ملحوظا بالليل مما يقلل من قدراتها على الحماية فينصح الإنسان بالركون إلى النوم والراحة حماية له من تلك المخاطر..

وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى:

- {وجعلنا الليل لباسا. وجعلنا النهار معاشا} (النبأ: 10، 11).

- {فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم} (الأنعام:96).

- {هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون} (يونس:67).

{ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون} (النمل:86).

- {قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون. ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون} (القصص:71 - 73).

- {الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون} (غافر: 61)

ثم إن التبادل بين الليل المظلم، والنهار المنير، يحدد لنا يوم الأرض، ويعيننا على إدراك الزمن، وعلى تحديد الأوقات بدقة وانضباط ضروريين للقيام بمختلف الأعمال، ولأداء كل العبادات، وإنجاز كافة المعاملات، والوفاء بمختلف العهود والمواثيق والعقود، وغير ذلك من النشاطات الإنسانية، وإن هذه النعمة لهي بحق من نعم الله تعالى على الإنسان في هذه الحياة، وعلى كافة الأحياء الأرضية من حوله، لأنه بدونها لا تستقيم الحياة على الأرض، ولا يستطيع الإنسان أن يميز ماضيا من حاضر أو مستقبل، وبالتالي فإنه بدونها لابد وأن تتوقف مسيرة الحياة!

من هنا كان التدبر في ظاهرة تعاقب الليل والنهار دعوة إلى الخلق كافة للإيمان بالله، وإدراك شيء من بديع صنعه في هذه الحياة، ومن هنا أيضا جاءت الآية الكريمة التي نحن بصددها، وغيرها من الآيات التي تشير إلى تبادل الليل والنهار في صياغة معجزة - شأنها في ذلك شأن كل آيات القرآن الكريم - ومن جوانب ذلك الإعجاز إشارتها إلى أعداد من الحقائق الكونية التي لم تكن معروفة وقت تنزل القرآن الكريم، ولا لقرون متطاولة من بعد ذلك مما يجزم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويشهد للنبي الخاتم والرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة الحقة، والرسالة الخاتمة.

(ب) من الشواهد العلمية المستقاة من تبادل الليل والنهار:

(1) التأكيد على كروية الأرض:

فإن تبادل الليل والنهار على نصفي الأرض وتعاقبهما وإيلاج كل منهما في الآخر، واختلافهما، وتقليبهما، وإدبار أحدهما وسفور الآخر، وإغشاء نور النهار بحلكة الليل، وتجلية حلكة الليل بنور النهار، وتكوير الليل على النهار، وتكوير النهار على الليل، كل ذلك إشارات ضمنية رقيقة إلى كروية الأرض، فلو لم تكن الأرض كرة ما أمكن حدوث شيء من ذلك أبدا، وأبسطه تبادل الليل والنهار على نصفي الأرض.

هذه الحقيقة العلمية جاء بها القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة من السنين في وقت ساد فيه الاعتقاد باستواء الأرض كل الناس، على الرغم من إثبات عدد من قدامى المفكرين غير ذلك.

ونزول الآيات القرآنية العديدة بهذه الحقيقة الكونية الثابتة في الجزيرة العربية التي كانت - في ذلك الوقت القديم - بيئة بدوية بسيطة، ليس لها أدنى حظ من المعرفة العلمية ومناهجها ولا بالكون ومكوناته لمما يقطع بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أبدع هذا الكون بعلمه وحكمته وقدرته، والذي هو أدرى بصنعته من كل من هم سواه، وأن سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كان موصولا بالوحي، ومعلّما من قبل خالق السماوات والأرض.

(2) التأكيد على دوران الأرض حول محورها أمام الشمس:

فلو لم تكن الأرض كروية، ولو لم تكن تلك الكرة تدور حول محورها أمام الشمس ما تبادل الليل والنهار، وهذا الدوران عبرت عنه الآيات القرآنية في أكثر من عشرين آية صريحة، بتعبيرات ضمنية رقيقة، ولكنها مصوغة صياغة علمية دقيقة، تبلغ من الدقة والشمول والكمال ما لم يبلغه العلم الحديث منها: إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، واختلافهما، وتعاقبهما، وتقليبهما، وإدبار أحدهما وإقبال الآخر، وإغشاء النهار بالليل، وتجلية الليل بالنهار، وتكوير الليل على النهار، وتكوير النهار على الليل، وجعل كل منهما خلفة للآخر، وسريان الليل وعسعسته، بعد إظلامه وسجوه، وإسفار الصبح وتنفسه وطلوع ضحاه وتجليه بعد إغشاء الليل وإظلامه (آل عمران: 27، الرعد: 3، الحج: 61، المؤمنون: 80، النور: 44، الفرقان: 62، لقمان: 29، الجاثية: 3—5، الحديد: 6، المدثر: 33—35، التكوير: 17 —19، الفجر: 4، الليل: 1،2، الضحى: 1،2).

وقد أنزلت هذه الآيات مؤكدة حقيقة دوران الأرض حول محورها في وقت ساد فيه الاعتقاد بثبات الأرض ورسوخها، بمعنى عدم دورانها أو تحركها، وهو أمر معجز للغاية.

(3) التأكيد على أن سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس في المراحل الأولى لخلق الكون كانت أضعاف سرعتها الحالية:

وهذه الحقيقة لم يتمكن العلم المكتسب من إدراكها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وقد سبقه القرآن الكريم بأكثر من أربعة عشر قرنا وذلك بالإشارة إلى هذه الحقيقة في قول الحق تبارك وتعالى: {إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} (الأعراف: 54).

وإغشاء النهار بالليل جاء في القرآن الكريم أربع مرات (الأعراف:54، الرعد:3، الشمس:1—4، الليل:1،2)، والمرة الوحيدة التي جاءت فيها الصفة: يطلبه "حثيثا" أي سريعا، هي هذه الآية الرابعة والخمسين من سورة الأعراف لأنها تتحدث عن بداية خلق السماوات والأرض، وهي حقيقة مدونة في هياكل الحيوانات، وأخشاب النباتات بدقة بالغة، ولم يكن لأحد من الخلق إلمام بأية فكرة عنها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين حين اكتشف العلماء أن تبادل الليل والنهار كان يتم في العقود الجيولوجية القديمة بسرعة فائقة جعلت من عدد الأيام في السنة عند بدء الخلق أكثر من ألفي يوم، وجعلت من طول الليل والنهار معا أقل من أربع ساعات، وكان إبطاء سرعة دوران الأرض حول محورها بمعدل جزء من الثانية في كل قرن من الزمان آية من آيات الله في إعداد الأرض لاستقبال الحياة، لأن صور الحياة - وفي مقدمتها الإنسان – ما كان ممكنا أن تتلاءم مع هذه السرعات الفائقة لدوران الأرض ولا لقصر طول كل من الليل والنهار.

(4) التأكيد على سبح الأرض في مدارها حول الشمس:

يعبر القرآن الكريم عن الأرض في عدد من آياته بالليل والنهار كما جاء في قول الحق تبارك وتعالى: {وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون} (الأنبياء: 33).

وفي قوله عز من قائل: {لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون} (يس:40).

وذلك لأن كلا من الليل والنهار عبارة عن ظرف زمان، وليس جسما ماديا، ولابد للزمان من مكان يظهر فيه، والمكان في هذه الحالة هو كوكب الأرض الذي يقتسم الليل نصفه، والنهار النصف الآخر في حركة دائبة، وتبادل مستمر، ولو لم تكن الأرض كروية، ولو لم تكن تدور حول محورها أمام الشمس لما تبادل سطحها الليل والنهار في تعاقب مستمر، ولولا جري الأرض في مدارها حول الشمس ما تغيرت البروج، ولو لم تكن الأرض مائلة بمحور دورانها على دائرة البروج بزاوية مقدارها 66،5 درجة تقريبا ما تبادلت الفصول، ولولا علم الله بجهل الناس لتلك الحقائق في الأزمنة السابقة لأنزل الحقيقة الكونية بلغة صادعة، قاطعة، ولكن لكي لا يفزع الخلق في وقت تنزل القرآن الكريم أشار إلى جري الأرض في مدارها المحدد لها حول الشمس يسبح كل من الليل والنهار، والسبح لا يكون إلا للأجسام

المادية في وسط أقل كثافة منها، فالسبح في اللغة هو الانتقال السريع للجسم المادي بحركة ذاتية فيه من مثل حركات كل من الأرض والقمر والشمس وغيرها من أجرام السماء كل في مداره وحول جرم أكبر منه، ويؤكد هذا الاستنتاج صيغة الجمع كل في فلك يسبحون التي جاءت في الآيتين، لأنه لو كان المقصود بالسبح الشمس والقمر فحسب لجاء التعبير بالتثنية وكلاهما يسبحان.

(5) التأكيد على الرقة الشديدة لطبقة النهار في الغلاف الغازي لنصف الأرض المواجه للشمس:

وهي حقيقة لم يدركها الإنسان إلا بعد ريادة الفضاء، في منتصف الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن العشرين، وقد سبق القرآن الكريم هذا الكشف العلمي بأربعة عشر قرنا وذلك في قول الحق تبارك وتعالى: {وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون} (يس:37).

وهذه الآية الكريمة تؤكد أن الأصل في الكون الظلام، وأن طبقة النهار في الغلاف الغازي المحيط بنصف الأرض المواجه للشمس، والتي تتحرك باستمرار لتحل محل ظلام الليل بإشراق الفجر، هي طبقة بالغة الرقة لا يكاد سمكها يتعدى المائتي كيلومتر فوق مستوى سطح البحر، وإذا نسبنا هذا السمك إلى المسافة بين الأرض والشمس وهي مقدرة بحوالي المائة وخمسين مليون كيلومتر كانت النسبة واحدا إلى سبعمائة وخمسين ألفا تقريبا (200كم/150,000,000كم=1/750,000 تقريبا)، وإذا نسبناه إلى نصف قطر الجزء المدرك من الكون والمقدر بأكثر من اثني عشر بليون (ألف مليون) سنة ضوئية اختفت هذه النسبة تماما أو كادت، ومن هنا تتضح ضآلة سمك الطبقة التي يعمها نور النهار، كما يتضح عدم استقرارها لانتقالها باستمرار من نقطة إلى أخرى على سطح الأرض مع دورانها حول محورها أمام الشمس، ويتضح كذلك أن تلك الطبقة الرقيقة من نور النهار تحجب عنا ظلام الكون الخارجي، لأن الذين تعدوا طبقة النهار من رواد الفضاء رأوا الشمس في منتصف النهار قرصا أزرق في صفحة سوداء، وبهذه المعلومات التي اكتشفت منذ أقل من نصف قرن تتضح روعة تشبيه القرآن الكريم انسلاخ نور النهار عن ظلمة كل من الليل والكون بسلخ جلد الذبيحة الرقيق عن كامل بدنها، وهذا يؤكد أن الظلمة هي الأصل في هذا الكون، وأن النهار ليس إلا ظاهرة، نورانية، عارضة، رقيقة جدا، لا تظهر إلا في الطبقات الدنيا من الغلاف الغازي في نصفه المواجه للشمس، وبواسطة دوران الأرض حول محورها أمام ذلك النجم ينسلخ النهار تدريجيا أمام ظلمة ليل الأرض، والتي تلتقي بظلمة السماء.

وتجلي النهار على الجزء السفلي من الغلاف الغازي للأرض بهذا النور الأبيض المبهج هو من نعم الله الكبرى على عباده، ويفسرها تشتت ضوء الشمس بانعكاساته المتكررة على هباءات الغبار وعلى جزيئات كل من بخار الماء والهواء العالقة بالغلاف الغازي القريب من الأرض (والتي تثيرها الرياح من سطح الأرض)، وبعد تجاوز المائتي كيلومتر فوق سطح البحر يبدأ الهواء في التخلخل لتضاؤل تركيزه، وتناقص كثافته باستمرار مع الارتفاع، وندرة كل من جسيمات الغبار، وبخار الماء

فيه حتى تتلاشى ولذلك تبدو شمسنا كما يبدو غيرها من نجوم السماء الدنيا بقعا زرقاء باهتة، في بحر غامر من ظلمة الكون.

(6) التأكيد على دقة الحساب الزمني بواسطة كل من الليل والنهار والشمس والقمر:

من المعروف أن السنة الهجرية هي سنة شمسية/ قمرية، لأن هذه السنة تحددها دورة الأرض حول الشمس دورة كاملة تتمها في365.25 يوم تقريبا، وأن هذه السنة تقسم إلى اثني عشر شهرا بواسطة دوران القمر حول الأرض، كما يقسم الشهر إلى أسابيع وأيام وليال بنفس الواسطة، وقد تقسم الشهور بواسطة البروج التي تمر بها الأرض في أثناء جريها في مدارها حول الشمس، كما تدرك الأيام بتبادل كل من الليل والنهار، ويقسم النهار إلى وحدات أصغر بواسطة المزولة الشمسية، ومن هنا كان القسم القرآني بالليل والنهار والشمس والقمر في خمس آيات (الأنعام:96، إبراهيم:33، النحل:12، الأنبياء:33، فصلت:37).

(7) الإشارة إلى أن ليل الأرض كان في بدء الخلق ينار بعدد من الظواهر الكونية:

وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: {وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا} (الإسراء:12).

قال تعالى: {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ} (الذاريات:21).

يتكون جسد الإنسان أساسا من الماء بنسبة قد تزيد على 70%، بينما تشكل المواد الصلبة في هذا الجسد أقل من 30%. ويغلب على هذه المواد الصلبة عنصرا الكالسيوم والفسفور، ويليهما في الكثرة كل من عناصر البوتاسيوم، الصوديوم، الكبريت، المغنيسيوم، الكلور، الفلور، البروم، اليود والحديد. هذا بالإضافة إلى آثار طفيفة من كل من النحاس، المنجنيز، الزنك، المولبدينوم والألومنيوم.

وهذا التركيب يشكل حوالي مائة تريليون خلية حية في المتوسط، وهي خلايا متخصصة، تتنوع بتنوع وظائفها. وتنتظم كل مجموعة من هذه الخلايا في أنسجة متخصصة، ثم في أعضاء وأجهزة ونظم متخصصة.

ويتعاون كل ذلك في خدمة جسد الإنسان المبهر في بنائه، ودقة أدائه بتناغم عجيب.

ويعجز كل علماء الأرض عن إدراك كيفية معرفة الخلايا المتخصصة على بعضها البعض أو كيفية توافق الأجهزة المختلفة المكونة لجسد الإنسان مع بعضها البعض.

فالخلية الحية التي يتراوح طول قطرها بين 0.03 – 0.1 ملم في المتوسط، ولا تتعدى كتلتها جزءا من مليار جزء من الجرام، تعد وحده فائقة التعقيد في البناء، وفائقة الكفاءة في الأداء، حيث لها جدار حي يبلغ متوسط سمكه (0.00001) ملم يحافظ على كيان الخلية كوحدة مستقلة دون عزلها عزلا كاملا، حيث يمكنها من تبادل كل من السوائل والغازات، والعناصر والمركبات التي تحتاجها الخلية أو تريد التخلص منها مع الوسط المحيط بها.

وبداخل هذا الجدار سائل خاص يعرف باسم الجبلة أو الهيولي (Cytoplasm)، ويعوم في هذا السائل نواة (Nucleus) تمثل مركز التحكم في الخلية، وبغلف النواة غشاء خاص (nuclear membrane) يسمح بتبادل البروتينات والمعلومات مع السائل الهيولي المحيط بها بدقة وإحكام بالغين.

ونواة الخلية الحية تمثل عقلها الذي ينظم كافة أنشطتها، من مثل: النمو والانقسام وغير ذلك، وإذا ماتت النواة ماتت الخلية.

ويوجد في السائل الهيولي جسيمات حية متناهية الضآلة في الحجم تعرف باسم: عضيات الخلية (Cell Organelles) منها مولدات للطاقة تعرف باسم "المتقدرات" (Mitochondria) (0.01mm long ; 0.001mm thick)

ويختلف عددها من عدة مئات إلى عدة آلاف حسب نوع الخلية، وللمقتدرات أحماضها النووية الخاصة بها (Mitochondrial DNA) وهناك مراكز لتصنيع البروتينات تعرف باسم "الريباسات" (Ribosomes) على هيئة شبكة من الأنابيب الدقيقة (mm0.00002) التي تكون "الشبكة الإندوبلازمية" (Reticulum Endoplasmic)، التي تلعب دورا هاما في هندسة بناء الخلية الحية.

وفي داخل نواة الخلية توجد الشيفرة الوراثية المكونة من عدد محدد من الصبغيات المتشابكة. وعدد هذه الصبغيات هو عدد محدد لكل نوع من أنواع الحياة، فالإنسان على سبيل المثال خصه الخالق – سبحانه وتعالى- بستة وأربعين صبغيا في ثلاثة وعشرين زوجا، لو زاد عددها أو نقص عن هذا الرقم المحدد، فإما أن يشوه أو لا يكون.

والصبغيات (Chromosomes) تحمل الصفات الوراثية للفرد الواحد، كما تحمل مراكز توجيه صنع البروتينات المختلفة التي يحتاجها جسده.

وتتكون الصبغيات من تجمعات للحمض النووي على هيئة لفائف مزدوجة الجانب، لافة حول محور وهمي بشكل حلزوني (Double helix DNA strands) وهذه اللفائف متناهية الدقة في الحجم إذ يبلغ سمك جدارها واحد من خمسين مليون جزء من المليمتر، ويبلغ طول الواحد منها إذا فرد حوالي المترين.

وكل واحدة من هذه اللفائف الحلزونية تدور حول محورها الوهمي خمس لفات كاملة وتحمل أربعة آلاف ذرة. وجزيء الحمض النووي الريبي ((DNA في الإنسان يضم حوالي مائة مليون لفيفة من هذه اللفائف الحلزونية، وحوالي مائة بليون ذرة.

وكل لفيفة من هذه اللفائف الحلزونية لها جدران من ذرات متبادلة من السكر والفوسفات، ويترتب بين هذين الجدارين قواعد نيتروجينية تشبه سلميات الدرج الخشبي. وهذه اللفائف الحلزونية مزدوجة الجانب تتكدس في داخل نواة الخلية وتشغل حيزا يقدر بجزء من المليون من الملمتر المكعب.

وعلى ذلك فإن أطوال الصبغيات في جسد فرد واحد من البشر إذا تم رصها بعد فردها بجوار بعضها البعض فإن طولها يزيد عن المسافة بين الأرض والشمس

(والمقدرة بحوالي 150 مليون كيلومتر) بأكثر من ثلاثين ألف مرة.

والصبغيات تحمل المورثات التي يتراوح عددها في خلية جسد الإنسان بين 30,000 و 35,000 مورث. وتنقسم المورثات ((Genes إلى عدد من العقد المتناهية الصغر تعرف باسم "النويدات" (Nucleotides) يتكون كل منها من زوج من القواعد النيتروجينية ((Nitrogenous base pairs. ويستند كل زوج من هذه القواعد إلى زوجين من جزيئات السكر والفوسفور، زوج منهما على كل جانب، فتكون جزيئات السكر والفوسفور جدارين متقابلين لجزيء الحمض النووي (Nucleic Acid) تنتشر بينهما أزواج القواعد النيتروجينية على هيئة درجات السلم الخشبي، في ترتيب دقيق، وعلاقات تبادلية منضبطة على طول جزيء الحمض النووي.

وهذه القواعد النيتروجينية هي خمسة قواعد فقط من الجزيئات العضوية التي تكون الحمض النووي وهي: الثيامين ((Thymine والجوانين (Guanine) والسيتوسين (Cytosine) والأدينين ((Adenine واليوراسيل (Uracil). والأدينين يرتبط فقط مع الثيامين، أما الجوانين فيرتبط بالسيتوسين. وتكون كل ثلاثة أزواج من القواعد النيتروجينية شيفرة ((Codon، وكل واحدة من هذه الشيفرات مسؤولة عن إصدار التعليمات لتحضير حمض أميني معين من بين عشرين نوعا معروفة لنا، وهذه الأحماض الأمينية هي لبنات بناء الجزيء البروتيني.

وهناك إنزيمات خاصة لتفكيك لفائف الحمض النووي الريبي تعرف باسم (Helices)، وذلك في أثناء مضاعفة أعدادها كما أن هناك إنزيمات خاصة لترابط وحدات كل لفيفة من هذه اللفائف تعرف باسم (Polymerase). وتحتوي الشيفرة الوراثية للإنسان على (6.2) بليون من القواعد النيتروجينية، مرتبة في (3.1) بليون زوج، موزعة في حوالي بليون شيفرة (Codon). وتعتبر أزواج القواعد النيتروجينية هي الحروف التي تكتب بها الشيفرة الوراثية لكل فرد بدقة بالغة وتميز واضح.

ويتشابه التركيب الكيميائي للحمض النووي بين بني آدم بنسبة (99.9%)، ومن طلاقة القدرة الإلهية أن يعطي الله لكل فرد من بني آدم بصمة وراثية تميزه عن غيره.

وتتكون الخلية الواحدة من خلايا جسم الإنسان من مليون جزيء على الأقل من الجزيئات البروتينية والأحماض النووية التي تشكل اللبنات الأساسية لبناء الخلية الحية.

هذا بالإضافة إلى العديد من الدهون والشحوم والكربوهيدرات والفيتامينات، وغير ذلك من المركبات الكيميائية التي توجد بنسب ثابتة، وتتفاعل مع بعضها البعض بدقة فائقة.

والشيفرة الوراثية في نواة الخلية الحية للإنسان تحتوي على أكثر من ستة بلايين حرف من الحروف الكيميائية التي تكتب بها.

وإذا جمعت الشيفرة الوراثية في المائة تريليون خلية التي تبني جسد الفرد الواحد من بني آدم في المتوسط، فإن الحروف الكيميائية التي تكتب بها تزيد بملايين المرات عن مجموع الحروف الموجودة في كل الكتب والمجلات والدوريات والمخطوطات الموجودة في مكتبة الكونجرس الأمريكية.

ودقة بناء وترابط وترتيب ذرات الجزيء البروتيني الواحد والذي يتكون من أعداد كبيرة من جزيئات الأحماض الأمينية المرتبة ترتيبا يساريا، والمرتبطة مع بعضها البعض برابطة خاصة تعرف باسم الرابطة الببتيدية ينفي احتمال تكون ذلك الجزيء بمحض الصدفة. فأبسط جزيء بروتيني يحتوي على خمسين جزيئا من جزيئات الأحماض الأمينية، بينما يحتوي أعقدها على آلاف من تلك الجزيئات.

وفي الخلية الحية الواحدة من الخلايا المكونة لجسم الإنسان يوجد مائتا ألف نوع من أنواع البروتينات، وتستطيع هذه الخلية البشرية إنتاج ثمانين ألف نوع من أنواع هذه البروتينات.

والأنواع المختلفة من البروتينات تتركب من عشرين حمض أميني فقط. وهذه الأحماض تترتب في داخل الجزيء البروتيني ترتيبا يساريا، كما تترتب الذرات المكونة لكل حمض أميني ترتيبا يساريا كذلك، وترتبط هذه كلها برباط كيميائي واحد.

هذا كله مما يؤكد لكل ذي بصيرة بأن الخلية الحية لا يمكن أن تتكون بطريقة تلقائية بمحض الصدفة، وذلك لأن تكون جزيء بروتيني واحد من ملايين الجزيئات المكونة للخلية الحية لا يمكن أن يتم بعشوائية أو بمصادفة.

كذلك فإن تكون جزيء واحد من الأحماض الأمينية المكونة للجزيء البروتيني لا يمكن أن يتم إلا بتقدير مسبق وتدبير حكيم. وإذا كانت العلوم المكتسبة تثبت ذلك، فلا مفر من الاعتراف بحقيقة الخلق وبعظمة الخالق سبحانه وتعالى.

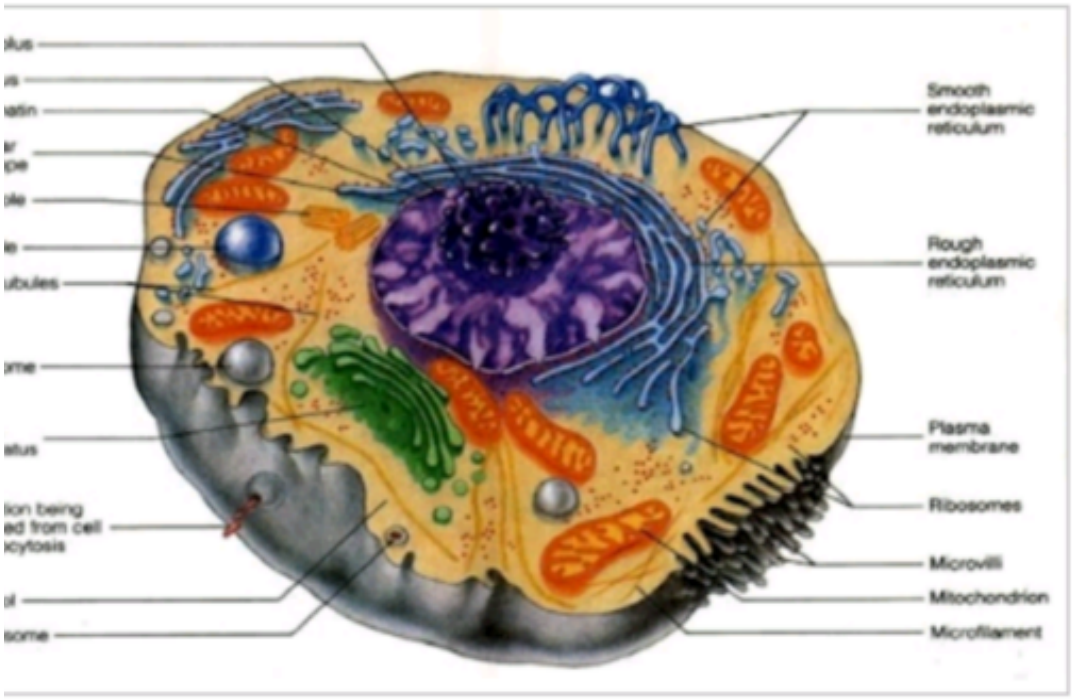
Smooth endoplasmic reticulum
Rough endoplasmic reticulum
Plasma membrane
Ribosomes
Microvilli
Mitochondrion
Microfilament

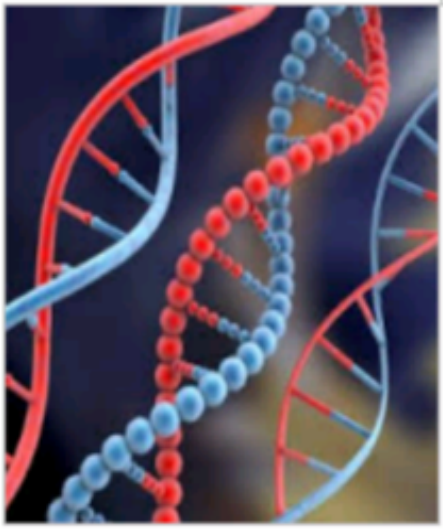

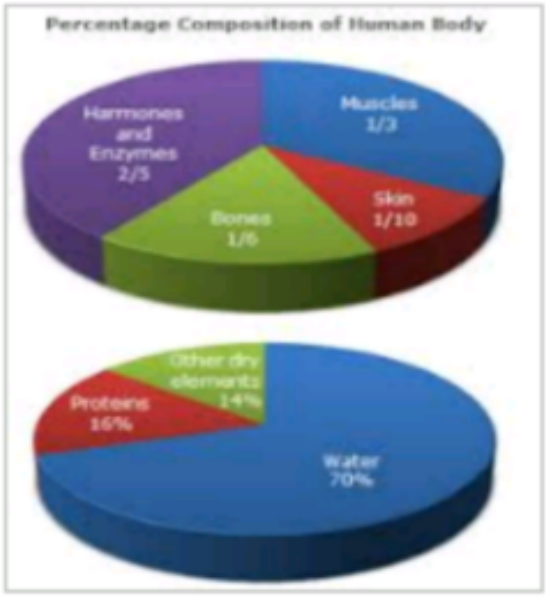
Percentage Composition of Human Body
Harmones and Enzymes 2/5
Muscles 1/3
Skin 1/10
Bones 1/6
Other dry elements 14%
Proteins 16%
Water 70%

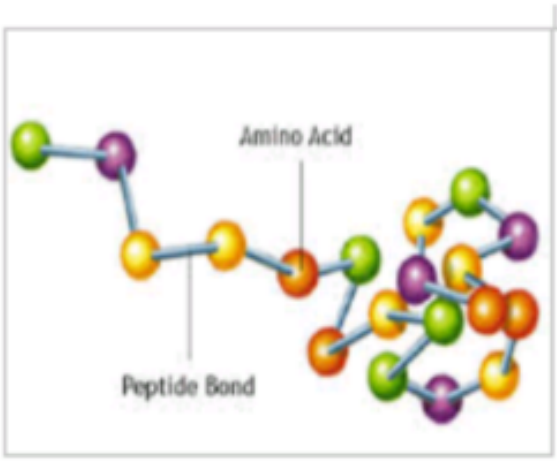
Amino Acid
Peptide Bond

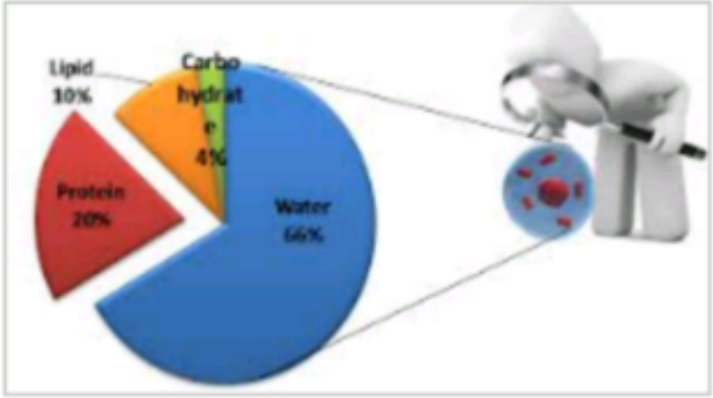
Lipid 10%
Carbo hydrat e 4%
Protein 20%
Water 66%

حادي عشر: الإنسان بين مفترق طرق: إما الإيمان وإما الكفر

قال تعالى: {وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر1-3).

سورة العصر مكية، وهي من قصار سور القرآن الكريم لاحتوائها على ثلاث آيات فقط بعد البسملة، وعلى الرغم من قصرها فهي تحوي المعالم الأساسية لرسالة الإنسان في هذه الحياة كما حددها له الله - تعالى – فالإنسان عبد لله، خلقه ربنا - تبارك وتعالى - لرسالة محددة ذات وجهين: أولهما عبادة الله - تعالى - بما أمر، وثانيهما حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله فيها، ولا يمكنه تحقيق ذلك بمفرده إذ هو محتاج إلى التواصي على ذلك مع غيره من الناس: في بيته، وفي مجتمعه، وفي بلده، ومع أهل الأرض أجمعين، والتواصي بالصبر على ذلك لأن دعوة الناس إلى الحق تحتاج كثيرا من المجاهدة والصبر وهذا كله يأتي انطلاقا من الإيمان بإله واحد، هو خالق كل شيء، وهو بذلك منزه عن الشريك، والشبيه، والمنازع، والصاحبة، والولد، وعن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله.

وانطلاقا من الإيمان بالإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، نصل إلى الإيمان بوحدة رسالة السماء، وبالأخوة بين الأنبياء، وبوحدة الجنس البشري كله، الذي يعود أصله إلى أب واحد، وأم واحدة، هما أبوانا آدم وحواء - عليهما السلام.

وعلى امتداد وجود الإنسان على الأرض كانت هذه هي حقيقة رسالته، إن فهمها، والتزم بتطبيقها حقق سعادته في الدنيا والآخرة، وإن فهم جزءا منها وأغفل الباقي، أو أغفلها كلها خسر الدنيا والآخرة، وإن حقق في حياته الدنيوية من النجاحات المادية ما حقق، وهذا هو الخسران المبين.

من أقوال المفسرين في تفسير سورة العصر:

ذكر ابن كثير - رحمه الله - ما مختصره: العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر، وقال زيد بن أسلم: هو العصر، والمشهور الأول، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك { إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات } فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران: الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم { وتواصوا بالحق } وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } أي على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي، ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

وذكر صاحبا الجلالين - رحمهما الله - ما نصه: {وَالْعَصْرِ} الدهر، أو: ما بعد الزوال إلى الغروب، أو: صلاة العصر {إِنَّ الإِنسَانَ} الجنس {لَفِي خُسْرٍ} في تجارته

{إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات} فليسوا في خسران {وَتَوَاصَوْا} أوصى بعضهم بعضا (بالحق) الإيمان {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} على الطاعة وعن المعصية.

وجاء بالهامش تعليق للشيخ محمد أحمد كنعان قال فيه: قوله: {في تجارته} لقد أبعد الجلال المحلي في تفسيره هذا، والأولى أن يقال: إن الإنسان خاسر وهالك إلا إذا آمن وعمل صالحا.. الخ أي: لا تنفعه الدنيا وما عليها إذا لم يكن مؤمنا صالحا.

وجاء في الظلال - رحم الله كاتبه برحمته الواسعة جزاء ما قدم - كلام رائع أختصره في النقاط التالية: فما الإيمان؟ إنه اتصال هذا الكائن الإنساني الفاني الصغير المحدود بالأصل المطلق الأزلي الباقي الذي صدر عنه الوجود، ومن ثم اتصاله بالكون الصادر عن ذات المصدر، وبالنواميس التي تحكم هذا الكون، وبالقوى والطاقات المزخورة فيه.. والانطلاق حينئذ من حدود ذاته الصغيرة إلى رحابة الكون الكبير. ومن حدود قوته الهزيلة إلى عظمة الطاقات الكونية المجهولة. ومن حدود عمره القصير إلى امتداد الآباد التي لا يعلمها إلا الله.. ثم إن مقومات الإيمان هي بذاتها مقومات الإنسانية الرفيعة الكريمة: التعبد لإله واحد، والربانية التي تحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان تصوراته وقيمه، وموازينه واعتباراته وشرائعه وقوانينه، وكل ما يربطه بالله أو بالوجود أو بالناس.. ووضوح الصلة بين الخالق والمخلوق، والاستقامة على المنهج الذي يريده الله.. والاعتقاد بكرامة الإنسان على الله.. والحاسة الأخلاقية ثمرة طبيعية وحتمية للإيمان بإله عادل رحيم، عفو كريم، ودود حليم.. وهناك التبعة المترتبة على حرية الإرادة وشمول الرقابة.. والارتفاع عن التكالب على أعراض الحياة الدنيا.. إن الإيمان هو أصل الحياة الكبيرة، الذي ينبثق منه كل فرع من فروع الخير.. ومن ثم يهدر القرآن قيمة كل عمل لا يرجع إلى هذا الأصل.. إن الإيمان دليل على صحة الفطرة وسلامة التكوين الإنساني.. والعمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان.. أما التواصي بالحق والتواصي بالصبر فتبرز من خلاله صورة الأمة الإسلامية.. والتواصي بالحق ضرورة.. والتواصي بالصبر كذلك ضرورة.. والتواصي بالصبر يضاعف المقدرة.

وبعد استشهاد طويل من كتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" للأستاذ أبو الحسن الندوي، ختم صاحب الظلال كلامه عن سورة العصر بقوله: وهذه السورة حاسمة في تحديد الطريق.. إنه الخُسر {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.. طريق واحد لا يتعدد. طريق الإيمان والعمل الصالح وقيام الجماعة الإسلاميةَ التي تتواصى بالحق وتتواصى بالصبر، وتقوم متضامنة على حراسة الحق مزودة بزاد الصبر.. إنه طريق واحد.. ومن ثم كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة (العصر) ثم يسلم أحدهما على الآخر.. لقد كانا يتعاهدان على هذا الدستور الإلهي، يتعاهدان على الإيمان والصلاح، ويتعاهدان على التواصي بالحق والتواصي بالصبر، ويتعاهدان على أنهما حارسان لهذا الدستور، ويتعاهدان على أنهما من هذه الأمة القائمة على هذا الدستور.

وجاء في صفوة البيان لمعاني القرآن - رحم الله كاتبه - ما نصه: {والعصر} أقسم الله بصلاة العصر لفضلها، لأنها الصلاة الوسطى عند الجمهور. أو بوقتها، لفضيلة صلاته، كما أقسم بالضحى، أو بعصر النبوة لأفضليته بالنسبة لما سبقه من العصور أو بالزمان كله، لما يقع فيه من الأقدار الدالة على عظيم القدرة الباهرة. وجواب القسم: {إن الإنسان لفي خسر} أي إن جنس الإنسان لا ينفك عن خسران ونقصان في مساعيه وأعماله

وعمره. أي إن الكافر لفي خسر. أي هلكة أو شر أو نقص {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} استثناء متصل إذا أريد بالإنسان الجنس.. ومنقطع إذا أريد به خصوص الكافر. والأعمال الصالحات تشمل جميع ما يعمله الإنسان مما فيه خير ونفع وبر.

{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} أوصي بعضهم بعضا بالتمسك بالحق، ومنه الثبات على الإيمان بالله وكتبه ورسله، والعمل بشريعته في كل عقد وعمل، وذلك هو الأمر الثابت الذي لا سبيل إلى إنكاره، ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره. {وتواصوا بالصبر} أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر عن المعاصي، التي تميل إليها النفوس بالطبيعة البشرية، والصبر على الطاعات التي يشق على النفوس أداؤها، ومنها الجهاد في سبيله وعلى البلايا والمصائب التي تصيب الناس في الدنيا، ويصعب على النفوس احتمالها، والله أعلم.

وذكر أصحاب المنتخب - جزاهم الله خيرا - ما نصه: في هذه السورة أقسم الله - سبحانه - بالزمان لانطوائه على العجائب، والعبر الدالة على قدرة الله وحكمته، على أن الإنسان لا ينفك عن نقصان في أعماله وأحواله إلا المؤمنين الذين عملوا الصالحات وأوصى بعضهم بعضا بالتمسك بالحق، وهو الخير كله، وتواصوا بالصبر على ما أمروا به وما نهوا عنه.

وجاء في صفوة التفاسير - جزى الله كاتبه خيرا - ما نصه: سورة العصر مكية، وقد جاءت في غاية الإيجاز والبيان، لتوضيح سبب سعادة الإنسان أو شقاوته، ونجاحه في هذه الحياة أو خسرانه ودماره.

أقسم - تعالى - بالعصر وهو الزمان الذي ينتهي فيه عمر الإنسان، وما فيه من أصناف العجائب، والعبر الدالة على قدرة الله وحكمته، على أن جنس الإنسان في خسارة ونقصان، إلا من اتصف بالأوصاف الأربعة وهي (الإيمان) و (العمل الصالح) و (التواصي بالحق) و (الاعتصام بالصبر) وهي أسس الفضيلة، وأساس الدين، ولهذا قال الإمام الشافعي - رحمه الله: لو لم ينزل الله سوى هذه السورة لكفت الناس.

{وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} أي أقسم بالدهر والزمان لما فيه من أصناف الغرائب والعجائب، والعبر والعظات، على أن الإنسان في خسران، لأنه يفضل العاجلة على الآجلة، وتغلب عليه الأهواء والشهوات. قال ابن عباس: العصر هو الدهر أقسم تعالى به لاشتماله على أصناف العجائب، وقال قتادة: العصر هو آخر ساعات النهار، أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة الباهرة، والعظة البالغة.. وإنما أقسم الله تعالى بالزمان لأنه رأس عمر الإنسان، فكل لحظة

تمضي فإنها من عمرك ونقص من أجلك.. قال القرطبي: أقسم الله عز وجل بالعصر - وهو الدهر - لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها، وما بها من الدلالة على الصانع، وقيل: هو قسم بصلاة العصر لأنها أفضل الصلوات { إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } أي جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال، فهؤلاء هم الفائزون لأنهم باعوا الخسيس بالنفيس، واستبدلوا الباقيات الصالحات عوضا عن الشهوات العاجلات { وتواصوا بالحق } أي أوصى بعضهم بعضا بالحق، وهو الخير كله، من الإيمان، والتصديق، وعبادة الرحمن { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } .. على الشدائد والمصائب، وعلى فعل الطاعات، وترك المحرمات.. حكم تعالى بالخسارة على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فإن نجاة الإنسان لا تكون إلا إذا كمل الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح، وكمل غيره بالنصح والإرشاد، فيكون قد جمع بين حق الله، وحق العباد، وهذا هو السر في تخصيص هذه الأمور الأربعة.

من ركائز العقيدة في سورة العصر:

1- الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتنزيه الله - تعالى - عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله.

2- الالتزام بالصالحات من الأعمال.

3- التواصي بالحق.

4- التواصي بالصبر.

5- اليقين بأن الذين يلتزمون بهذه الضوابط الإيمانية - على قلتهم - هم الناجون في الدنيا والآخرة، وأن الذين لا يلتزمون - وهم الأكثرية الغالبة - سيخسرون الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

من الإشارات الكونية في سورة العصر:

1- القسم بالعصر وهو قسم يشمل الزمن كله، كما يشمل وقت العصر أي الفترة الزمنية ما بعد الزوال إلى الغروب، أو صلاة العصر لفضلها.

2- الإشارة إلى ضلال أغلب الناس، واستثناء القلة الصالحة من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتاريخ والواقع يؤكدان ذلك.

3- التأكيد أن الإنسان مخلوق اجتماعي بالفطرة، وهو ما أكدته جميع الدراسات المكتسبة.

من جوانب الإعجاز في سورة العصر:

أولا: من الإعجاز العلمي في القسم بالعصر:

مع الاختلاف بين المؤمنين من عباد الله - تعالى - والكافرين به عبر التاريخ تصارعت فكرتا خلق الكون والادعاء بأزليته. فكلما آمن قوم من الأقوام أو نفر من الناس بحقيقة أن هذا الكون الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المحكم الحركة، والمنضبط في كل جزئية من جزئياته، وفي كل أمر من أموره لا يمكن أن يكون قد أوجد ذاته بذاته، أو أن يكون وليد العشوائية والصدفة، نفث الشيطان في نفوس قوم أو أفراد آخرين بدعواه الباطلة التي يسعى جاهدا لإضلال بني الإنسان بها والتي فحواها الادعاء بأزلية الكون، استدراجا للإنسان بنفي الخلق، والتنكر للخالق - سبحانه وتعالى - ونفي كل من البعث والحساب والجزاء، أي نفي الدين.

ولذلك أشاع الملاحدة عبر التاريخ الادعاء الباطل بأزلية الكون، وامتلأت كتب الفلك وعلوم الأرض بشعارات كاذبة منها تلك الإشارة الباطلة التي اتخذت شعارا للعديد من المؤلفات والتي تقول: لا أثر لبداية، ولا إشارة إلى نهاية (There is no vestige of a beginning nor sign for an end) حتى جاءت المعطيات العلمية لتكذب تلك الفرية الباطلة من مختلف مجالات العلوم المكتسبة (الفيزياء، الكيمياء، علوم الأحياء، علوم الأرض، الفلك، وحتى الرياضيات).

وقبل أن تطمس المعطيات العلمية المكتسبة دعاوى الملاحدة بأزلية الكون، جاء القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة سنة مفصلا خلق السماوات والأرض، وخلق الحياة، وخلق الإنسان، وخلق كل شيء بالقول القاطع الجازم الذي لا لبس فيه: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (الأنعام:102).

ويتكرر التأكيد على هذه الحقيقة في مقام آخر بأمر إلهي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الرعد حيث تقول: {...قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ} (الرعد:16).

ويتكرر الفعل (خلق) بمشتقاته (252) مرة في كتاب الله لمزيد من التأكيد على حقيقة الخلق، وعلى طلاقة قدرة الخالق - سبحانه وتعالى.

وحينما حاولت الكنيسة البريطانية مقاومة المد الإلحادي الذي طغى على العالم الغربي منذ بدايات عصر النهضة خرج القس الأيرلندي جيمس أشرJames Ussher 1581-1656)) كبير أساقفة أرماغ (Armagh Archbishop of) في القرن السابع عشر الميلادي بدعوى أن خلق الكون قد تم في سنة 4004 ق. م، وظل هذا التاريخ مدونا في النص المخول تداوله من العهدين القديم والجديد حتى القرن التاسع عشر الميلادي (Version of the Old and The Authorized New Testaments) وكردة فعل لهذه الخرافة أخذ العلماء الغربيون في التأكيد على فكرة الكون الأزلي الأبدي أو ما يعرف باسم نظرية ثبات واطراد الكون (The Spready-State Theory) التي نادي بها في سنة 1948م كل من فريد هويل وزميلاه هيرمان بوندي وتوماس جولد (Fred Hoyle، &Herman Bondi Thomas Gold). وبعد ذلك جاءت المعارف العلمية لتؤكد حقيقة خلق الكون، وأن هذا الكون له بداية حاول علماء الفلك والفيزياء الفلكية تحديدها بوسائل علمية

متعددة منها علاقة معدل سرعة توسع الكون مع المسافة (أو ثابت هبل)، ومنها وسائل تحديد العمر المطلق بواسطة العناصر المشعة، ومنها تحديد أعمار أقدم النجوم فوصلوا إلى أن عمر الكون يتراوح بين (15)، و(20) بليون سنة، وهو رقم ما كان ممكنا لأحد من الناس أن يتخيله - مجرد تخيل - قبل أواخر القرن العشرين.

وهذا العمر الطويل للكون فيه إشارة إلى عظم اتساع الكون لأن الزمان والمكان أمران متواصلان، فإذا تعاظم الزمان اتسع المكان، وإذا نظر الفلكي إلى أجرام السماء البعيدة، فإنه ينظر إلى تاريخها القديم، وكلما بعد الجرم السماوي تقادم التاريخ، واهتزت القياسات.

وفي هذا العمر الطويل للكون إشارة إلى شيء من عظمة الخالق - سبحانه وتعالى - وتأكيد على أنه - سبحانه وتعالى - فوق كل من المكان والزمان، وفوق كل من المادة والطاقة {... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} (الشوري: 11).

وعلماء الفلك اليوم يجمعون على حتمية وجود مرجعية للكون في خارجه، وأن هذه المرجعية لابد أن تكون مرجعية واحدة لوحدة البناء في الكون كله، ولابد أن تكون مغايرة مغايرة كاملة لجميع المخلوقين.

من هنا كان القسم القرآني بالعصر أي: الزمان كله؛ الذي يعكس جانبا من جوانب طلاقة القدرة الإلهية المبدعة في الخلق، وعلى هيمنة الخالق العظيم، الواحد الأحد، الفرد الصمد، على جميع خلقه وعلى الكون بأسره.

وهذا لا يتنافى أبدا مع تعظيم الفترة من الزوال إلى الغروب، ولا ينتقص من فضائل صلاة العصر المفروضة فيها باعتبارها الصلاة الوسطى في عقد الصلوات الخمس المفروضة في اليوم والليلة، ولا من فضائل عصر النبوة الخاتمة على ما سبقها من عصور الجاهلية والضلال، وذلك لأن من معجزات القرآن الكريم أن ترد فيه الكلمة - في غير ركائز الدين - فيفهمها أهل كل عصر بمعنى من المعاني، وتظل هذه المعاني تتفرد باستمرار مع توسع دائرة المعارف المكتسبة في تكامل لا يعرف التضاد، ليبقى القرآن الكريم مهيمنا على المعرفة الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، وهذا من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله.

ثانيا: من الإعجاز الإنبائي في قوله تعالى: {إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ}..

يعلم ربنا - تبارك وتعالى - بعلمه المحيط أن الغالبية من الناس لن يكونوا مؤمنين، وأخبر بذلك خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم من قبل ألف وأربعمائة سنة بقوله العزيز: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} (يوسف:103).

وأكد ربنا - سبحانه وتعالى - هذه الحقيقة بقوله في سورة العصر: {إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} (العصر:2).

والتاريخ كله يؤكد هذه الحقيقة التي يدعمها الواقع الراهن الذي يعيش فيه اليوم أكثر من بليون ملحد يشكلون حوالي 16% من مجموع سكان العالم، بينما يشكل المسلمون حوالي 25% والنصارى حوالي29%، والهندوس14%، والبوذيون5%، ومتابعو بعض التقاليد الصينية القديمة 5%، ومتابعو التقاليد الأفريقية البدائية5%، والسيخ00،36% واليهود00،22% والباقي وقدره00،42% تمثله بعض الديانات الأخرى.

وإذا علمنا أن عدد المعلنين إلحادهم في عالم اليوم يزيد عن البليون نسمة، وأن أعدادهم في تصاعد مستمر، وأن الملتزمين من بين أصحاب الدين قد أصبحوا اليوم ندرة نادرة، لأن الغالبية الساحقة منهم تتخذ من الدين نوعا من الهوية والانتماء الاجتماعي فضلا عن كونه عقيدة وعبادة، وأخلاقا، ومعاملات تفهم فهما عميقا ويتم الالتزام بها التزاما دقيقا عن قناعة قلبية وعقلية كاملة، علمنا أننا نعيش في زمن من الفتن المتلاحقة.

وإذا أدركنا هذا الواقع الكئيب، أدركنا ومضة الإعجاز الإنبائي في قول ربنا - تبارك وتعالى: {إن الإنسان لفي خسر} لأن الحياة الدنيا مهما طالت فإن بعدها الموت، والقبر الذي إما أن يكون روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، ومن بعد الموت البعث وأهواله، والحشر ومخاطره، والحساب الدقيق عن كل لحظة عاشها الإنسان على سطح الأرض، ثم الخلود في الآخرة إما في الجنة أبدا، أو في النار أبدا، وكل إنسان لا يستعد لهذه

الرحلة الشاقة الاستعداد اللائق بها هو حتما (في خسر) أي خسران مبين في الدنيا والآخرة.

ثالثا: من الإعجاز التقريري في قول ربنا - تبارك وتعالى:

{إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر:3)..

هذا الاستثناء المتصل يشمل بني الإنسان جميعا، ويمثل قاعدة ثابتة راسخة في حياة الناس، وذلك لأن الإنسان مجبول على الإيمان بالله - تعالى - فإذا وجد الهداية الربانية الصحيحة التي تصله بالإيمان الفطري في داخله، فهم حقيقة نفسه، وتعرف على خالقه، وأدرك أبعاد رسالته في هذه الحياة الدنيا: عبدا لله، يعبده بما أمر، ويلتزم أوامره، ويجتنب نواهيه، ومستخلفا صالحا في الأرض يجتهد قدر طاقته في عمارتها، وإقامة شرع الله - سبحانه وتعالى - وعدله فيها حتى يلقى ربه وهو راض عنه، فيحقق بذلك نجاحه في الدنيا والآخرة، وذلك هو الفوز المبين.

ولكن الإنسان إذا لم يصل بجهده أو بهداية غيره إلى الدين الصحيح، فإما أن يملأ حاجته الفطرية إلى التدين بأي دين يرثه عن أبويه أو عن مجتمعه، أو يكتسبه بنفسه دون تمحيص كاف ليتأكد من صحة هذا الدين، أو أن ينتكس بالتنكر لخالقه، وللفطرة السليمة التي فطره الله عليها، فيرفض فكرة التدين رفضا كاملا كأغلب الضالين من أهل الأرض اليوم.. وكلا الموقفين خاطئ تماما لأنه سيجعل صاحبه

يعيش في الدنيا عيشة التعساء، ويموت ميتة الخاسرين، ثم يبعث في الآخرة مع الأشقياء من أهل النار، وذلك هو الخسران المبين، ومن هنا كان هذا الاستثناء المتصل الذي يشمل البشرية جميعا، وكان هذا التقرير الإلهي المعجز الذي لا يخرج عليه فرد واحد من بلايين البشر الذين عاشوا وماتوا، ومن البلايين التي تملأ جنبات الأرض اليوم، ومن البلايين التي سوف تأتي من بعدنا إلى قيام الساعة.

☆ ☆ ☆

الخاتمة

1- إن الإسلام هو الرسالة السماوية الوحيدة التي تعهد الله – تعالى – بحفظها فحفظت في نفس لغة الوحي (اللغة العربية) على مدى يزيد على أربعة عشر قرنا، وستظل محفوظة إلى ما شاء الله، وذلك لطلاقة الوعد الإلهي بحفظها، بينما وُكِّلَ حفظ الرسالات السابقة كلها لأتباعها فضيعوها ضياعا تاما، ماعدا ذكريات محرفة تحريفا شديدا عن آحاد منها.

بناء على ذلك، فإن الإسلام - كما تكامل في رسالته الخاتمة - هو الدين الوحيد الذي يرتضيه ربنا – تبارك وتعالى – من عباده، لأنه دين الله في صفائه الرباني وإشراقاته النورانية، دون أدنى ابتداع، بينما كل ما عداه من معتقدات معاصرة هو صناعة بشرية خالصة وإن ادعت بأن لها صلة بوحي السماء.

والدين لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل لابد من كونه هداية ربانية خالصة لا يداخلها أدنى قدر من التصورات البشرية.

2- إن الإسلام كما تكامل في القرآن الكريم، وفي سنة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم يجسد دعوة كل أنبياء الله ورسله من زمن أبينا آدم – عليه السلام – إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد بلغ عددهم مائة وعشرين ألف نبي، اصطفى الله – سبحانه وتعالى – منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رسولا.

وقد بعث الله – تعالى – كل نبي وكل رسول إلى أمته، حتى شملت دعوته – تعالى – جميع أمم الأرض، ثم بعث خاتم الأنبياء والمرسلين للخلق أجمعين إلى يوم الدين.

وكل الرسائل الثلاثمائة وبضعة عشر التي تنزلت قبل بعثة الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم قد ضاعت كلها ضياعا كاملا، وبقي القرآن الكريم محفوظا بحفظ الله – تعالى – في نفس لغة وحيه، تحقيقا لعهد الله الذي قطعه على ذاته العلية؛ وذلك لأن الرسول الخاتم قد خُتمت بنبوته النبوات، كما ختمت برسالته كل الرسالات السماوية ولذلك فليس من بعده صلى الله عليه وسلم نبي ولا رسول ولذلك كان لابد من حفظ رسالته الخاتمة حفظا مطلقا حتى تبقى هداية الله لخلقه أجمعين وحجته - تعالى - عليهم إلى يوم الدين.

3- بناء على ذلك فإن الإسلام كما تكامل في كل من القرآن الكريم وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم هو الدين الوحيد الذي يرتضيه ربنا – تبارك وتعالى – من عباده، ولا يرضى منهم دينا سواه، وذلك لأنه هو دين الله في صفائه الرباني وإشراقاته النورانية، دون أدنى ابتداع، بينما كل ما عداه من معتقدات معاصرة هو صناعة بشرية خالصة وإن ادعت بأن لها صلة بالهداية الربانية، والدين لا يمكن أن يكون صناعة بشرية.

4- إنه الدين الوحيد الذي ينزه الله - تعالى – عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله، والذي يوحد الله – سبحانه وتعالى – توحيدا كاملا (بغير شريك، ولا

شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة ولا ولد) والمنطق السوي يأمر بذلك ويؤكده لأن الإيمان بالله وتنزيهه فوق جميع صفات خلقه أمر منطقي في العقول، وفطري في النفوس انطلاقا من وحدة البناء في كون قائم على الزوجية الكاملة في كل شيء (من اللبنات الأولية للمادة والطاقة إلى الإنسان)، ولضرورة تمايز الخالق – سبحانه وتعالى - في ذاته وصفاته وأسمائه عن جميع خلقه.

5- وبما أن الإسلام هو الدين الوحيد القائم على التوحيد الكامل لله – تعالى - فهو يقوم على الإيمان بوحدة رسالات السماء وبالأخوة بين الأنبياء، وبين الناس جميعا، دون أدنى قدر من التمييز العرقي أو الطبقي، بينما تقوم كل المعتقدات المعاصرة – والتي هي صناعة بشرية كاملة – على التمييز العرقي أو الطبقي أو الديني بين الناس.

6- يقوم الإسلام على الاعتقاد الجازم بأن الله – تعالى – هو خالق كل شيء بالحق وإلى أجل مسمى، وأن الإنسان من خلق الله – تعالى – الذي خلقه من طين، ونفخ فيه من روحه، وعلّمه من علمه، وأمر الملائكة بالسجود له، وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، واستخلفه في الأرض لأجل محدد، حدده الخالق – سبحانه وتعالى - لكل فرد من بني آدم، ولكل شيء في هذا الوجود ولا تستطيع قوة على وجه الأرض تغيره بالتقديم أو التأخير.

كما يقوم الإسلام العظيم على الإيمان بأن الكون – بكل ما فيه ومن فيه – خاضع للقدرة الإلهية التي أبدعته فالله – تعالى – وحده هو الذي يمسك بكل أجزاء الكون، ويصونه ويبقيه، ولا يملك أحد غير الله أن يبدل من نظام الكون وقوانينه شيئا، بمعنى أن قوانين الكون المطردة ليست واجبة ولا مطلقة، لأنها خاضعة لقدرة الله - تعالى - الذي خلقها، وأوجدها، وجعلها منظمة للكون ولجميع ما فيه من الكائنات والموجودات.

والإنسان جزء من هذا الكون المادي الذي خلقه الله - تعالى – بعلمه وحكمته وقدرته، ولكن الإنسان له كيان روحي عاقل بالإضافة إلى جسده المادي، وله قدرة على التفكير، وعلى التعبير عن أفكاره ومشاعره، لأنه كائن حي، عاقل، قادر، مختار ومكلف.

ويقوم الإسلام العظيم على الإيمان بأن الإنسان يولد على الفطرة، وأن الخير أصيل فيه، والشر طارئ عليه، وأن الله – تعالى – قد وهبه القدرة على التمييز بينهما بالعقل، ولكن أبويه يهودانه، أو يمجسانه، أو يُنَصِّرانِه.

وإن كانت قمة الخير في الإنسان، ووسيلته إلى إنمائه تتمثل في خضوعه بالعبودية لله - تعالى - وحده لأنه سبحانه هو رب هذا الكون ومليكه، والذي لا سلطان في هذا الوجود لغيره.

والإنسان إذا لم يؤمن إيمانا جازما بذلك، ولم يعمل به كان جبارا عاتيا على الخلق، ومفسدا مدمرا في الأرض، يستخدم كل نعمة عنده في الكفر بالله، والإفساد في الحياة، وفي الاستعلاء على الخلق، والتجبر والتسلط عليهم، أو في أن يكون عبدا

لغير الله - تعالى - فيشرك به، وهذه صورة من صور الإذلال الذي يتنافى مع كرامة الإنسان.

ومن الخير الفطري الذي أودعه الله – تعالى – في طبيعة الإنسان تلك القيم الخيرة من مثل حب الحق وحب الخير، وتذوق الجمال الحسي والمعنوي في كل شيء، وهذه القيم يحرص الإسلام العظيم على رعايتها وتنميتها في كل فرد منذ لحظة الإدراك الأولي في حياته.

ومن ذلك الإيمان بالأخوة الإنسانية التي له عندها حقوق وعليه تجاهها واجبات لابد من أدائها. ولا تستقيم الحياة الدنيوية إلا بقيام الاتزان الدقيق بين حقوق الفرد وواجباته تجاه كل من أسرته، وأهله، ومجتمعه، وأمته، وتجاه الإنسانية جمعاء.. ومن ذلك حب العلم النافع، غير المعزول عن الحكمة، وإتباعه بالعمل الصالح الذي ينفع الناس جميعا، وذلك لأن العلم النافع يصدقه العمل الصالح، كما أن الإيمان الصادق لابد وأن يكون مقرونا بالعمل الصالح وبالأخلاق الكريمة وبالأخذ بعزائم الأمور.

وقد جاء القرآن الكريم مؤكدا على أن لكل شيء في هذا الكون فطرته السوية التي فطره الله – سبحانه وتعالى – عليها، والتي تخصه وتميزه عن غيره، وعلى أن الكون - بكل ما فيه ومن فيه - خاضع لقوانين الخالق - سبحانه وتعالى – وهي قوانين مطردة، لا تتخلف ولا تتوقف ولا تتعطل إلا بإرادته.

ومعرفة هذه القوانين هي من أسباب التقدم العلمي والتقني وهما وسيلة حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وتيسير الحياة على سطحها.

7- إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يكرم الإنسان، ويجعل لدمه حرمة تفوق حرمة أقدس أماكن العبادة.

وانطلاقا من هذه الكرامة يدعو الإسلام العظيم إلى الحرية الكاملة للإنسان في اختيار الدين الذي يود أن يدين نفسه به لله تعالى، وذلك انطلاقا من حقيقة أن الإنسان في الإسلام هو مخلوق مكرم، عاقل، حر، ذو إرادة، ومن هنا كان حقه الكامل في حرية التدين ويكفي في ذلك قول ربنا تبارك وتعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (البقرة:256).

وقوله تعالى: {وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ....} (الكهف:29)

وقوله سبحانه: {قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ. لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ. وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (الكافرون:1-6).

يأتي هذا في الوقت الذي تقوم فيه المعتقدات المعاصرة كلها إما بالانغلاق التام على ذاتها استعلاء وأنانية، وإما بالاستغلال والابتزاز لفقر الناس وحاجاتهم في ساعات

الاضطرار والعوز، وذلك بمساومتهم على دينهم بلقمة العيش أو قطرة الدواء، أو خيمة الإيواء.

8- إنه دين متوازن في كل شيء، فهو يدعو إلى الأخذ بمكارم الأخلاق، وإلى احترام العقل السوي، وإلى تعظيم طلب العلم، وتوقير العلماء وجعلهم ورثة الأنبياء، كما يوصي الإنسان المؤمن بالحرص على الفوز بالحكمة، وبقبول كل ما يقره المنطق السوي، ويقوم عليه الدليل القاطع ويدعمه البرهان الناصع، ويدعو الإنسان إلى النجاح في الدنيا بالحق، وبالعمل للآخرة دون توانٍ أو توقف حتى يلقى أجله المحدد.

ويكفي لتأكيد ذلك أن أولى آيات القرآن الكريم نزلت تأمر بالقراءة والكتابة، وتعظيم أدواتهما، وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (العلق:1-5).

وأقسم ربنا تبارك وتعالى بالقلم تعظيما لشأنه - وهو الغنى عن القسم لعباده - فقال عز من قائل: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} (القلم:1).

9- إن الإسلام دين يكلف الإنسان بحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة شرع الله وعدله فيها، ويجعل من ذلك عبادة لا تقل في قدرها عن عبادة الخالق – سبحانه وتعالى – بما أمر، وهما وجهان لعبادة واحدة، تتحقق بهما رسالة الإنسان في هذه الحياة.

10- إنه دين يأمر بالبحث في المعلوم المنظور من أمور الكون، أو ما يُعرف باسم "عالم الشهادة"، كما يدعو إلى الإيمان ب-"عالم الغيب". ومن الغيوب التي يطالبنا الإسلام بها الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، والتسليم بعوالم الجن دون محاولة التعرض لهم، ودون إفراط في ذلك أو تفريط.

11- إنه دين يدعو إلى تحرير الإنسان من عبودية الذات أو المخلوقات إلى عبودية الخالق وحده (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة ولا ولد)، ويلغي جميع الوسائط بين المخلوقين وخالقهم، فلا صكوك غفران، ولا كراسي اعتراف، ولا تقديس لغير الله – تعالى – ولغير ما قدس هو – سبحانه وتعالى – من أزمنة وأماكن بعلمه وحكمته وإرادته.

12- إنه دين يدعو إلى التوسط والاعتدال في كل أمر من أمور الحياة الدنيا، ويأمر بصلاح الدنيا دون نسيان الآخرة، كما يأمر بمخالطة الناس في حدود تمنع الانعزال عنهم، وتحول دون الانفتاح الكامل عليهم.

وعلى ذلك فإنه لا رهبانية في الإسلام، ولا كهانة ولا عرافة، ولا رجال دين، ولكن علماء ومتخصصون في مختلف المجالات الدينية والدنيوية بلا أدنى سلطان ديني، لأنه لا سلطان في هذا الوجود لغير الله – سبحانه وتعالى.

13- إنه دين يحفظ الضرورات الخمس لكل فرد من بني آدم: الدين، والعقل، والنفس، والمال، والعرض، على أسس من العدالة، والمساواة بين الناس جميعا، والتيسير لهم، والحرص على مصالحهم، والمحافظة على كرامة كل فرد من أفرادهم وحقوقه.

14- إنه دين يرفض الغفلة عن الحق في أي مجال من مجالات المعرفة، ويحارب التقليد الأعمى بلا دليل، كما يحارب الجمود على الآراء الخاطئة الموروثة، ويحرم القضاء بالظن والهوى، ويطالب بتأسيس كل حكم على الدليل العقلي المقبول، وعلى البرهان الجلي الواضح، ويحض على طلب العلم النافع الصحيح، القائم على أساس من مسئولية الإنسان عن حواسه وعقله، وينهى عن كل ما يمكن أن يحول دون معرفة الحق وقبوله من مثل الكبر والغرور، والمجادلة على غير أساس أو منطق، أو على غير توفر لأصول المعرفة اللازمة.

15- إن الإسلام العظيم يدعو إلى اكتساب المعارف النافعة بالتجرد للحق والصدق فيه، والمجاهدة في سبيله، والاستمساك به، والتعاون عليه، وكلها من أسس المنهج العلمي الاستقرائي الصحيح الذي وضعه أسسه المسلمون.

من هذا العرض الموجز فإننا ندعو الناس جميعا إلى قراءة القرآن الكريم، ولو في إحدى التراجم العديدة لمعانيه لمن لا يجيدون العربية، وان كانت كل التراجم لا تستطيع نقل جلال الربوبية الذي يتراءى لكل ذي بصيرة بين آياته العربية، كما ندعوهم إلى الاطلاع على شيء من سيرة الرسول الخاتم – صلوات الله وسلامه عليه – وعلى بعض أقواله الشريفة، وذلك من أجل التعرف على هذا الدين من مصادره الصحيحة، لأنه الدين الوحيد الذي لا يرتضي ربنا – تبارك وتعالى – من عباده دينا سواه، والذي لا خلاص للبشرية كلها من الكوارث التي تنتظرها إلا بالرجوع إلى الله عن طريقه، ولذلك فهو أكثر الأديان انتشارا في عالم اليوم على الرغم من الجهود المضنية التي تبذلها كل أبواق الشر في العالم من أجل تشويه صورته، والإساءة إليه، والتحذير من إمكانية إعادة تطبيقه نظاما شاملا كاملا للحياة كما كان في الحضارة الإسلامية التي جسدت واحدة من أعظم الحضارات التي عرفها تاريخ البشرية وأكملها، لأنها كانت الحضارة الوحيدة التي جمعت بين الدنيا والآخرة في معادلة واحدة، فازدهرت في ظلها الدنيا، واستخدم ازدهارها طريقا صحيحا للآخرة بإقامة شرع الله وعدله على الأرض.

وعالم اليوم أصبح مليئا بالمفاسد والمظالم، والمشاكل، والخلافات، والمآسي، والصراعات، وذلك بسبب جهل الناس بالدين الصحيح، فغرقت الأرض في بحار من الدماء والأشلاء، والخراب والدمار!

ولجهل أغلب الناس بالإسلام حُرموا من فهم الذات، ومن المعرفة الحقة لرسالة الإنسان في هذه الحياة، ومصيره من بعدها، فحاول إنسان اليوم العيش بتصوراته المادية البحتة، وهى تصورات محدودة قاصرة، واندفع بمطامعه الدنيوية الحقيرة جريا وراء مكاسبه المادية الآنية فيها بأي ثمن، فعانى من غلبة القوي الذي لا ضمير له على الضعيف الذي لا حول ولا قوة له، كما عانى من انتشار الحروب

الساخنة والباردة، ومن كثرة المؤامرات الدولية والمحلية، وتكدس الأسلحة التقليدية وغير التقليدية المتطورة، ومنها أسلحة الدمار الشامل (الذرية والنووية والنيترونية، والأسلحة الكيميائية والحيوية القذرة)، وعانى من تطور أجهزة التجسس والتصنت على الناس، ومن استنزاف ثروات الأرض، وتلوث مختلف بيئاتها، حتى أصبحت مهددة لمختلف صور الحياة بالأمراض والفناء، كما عانى أهل الأرض من انتشار الكوارث الطبيعية والمجاعات الجماعية، ومن مختلف العقوبات والابتلاءات من مثل انتشار الأمراض، والأوبئة الفتاكة، ومن ارتفاع كل من الأسعار ومعدلات الجريمة، وتزايد نسب الإدمان والانتحار، وانهيار مؤسسة الأسرة، وتسيب المرأة، وزعامة الأحداث، ومن شيوع الزنا والخنا والشذوذ، ومن ضياع الأخلاق الفاضلة وانتشار الرذائل، ومن كثرة أبناء وبنات الحرام، ومن اختلاط الأنساب بصورة مروعة.

وفوق ذلك كله يعانى أهل الأرض اليوم من سوء توزيع الثروة إلى الحد الذي تملك فيه عشرون دولة من دول العالم أكثر من 87% من ثروات الأرض جميعها، بينما لا يتعدى مجموع سكانها 18% من مجموع تعداد سكان هذا الكوكب، ويعيش أكثر من 82% من سكان الأرض على أقل من 13% من مجموع ثروتها في مستوى من الفقر أو ما دون حد الفقر تحت قدر من المظالم والاستبداد، والاستغلال التي تستوجب غضب الله - تعالى - وتستعجل نزول عقابه.

وعالم اليوم مهدد بالعديد من الكوارث الإنسانية: العسكرية منها، والبيئية، والصحية، والاقتصادية، والدينية، والأخلاقية، والاجتماعية، التي لا يعلم مدى خطورتها إلا الله تعالى، ولن يستطيع الإنسان تجنب وقوع تلك الكوارث إلا بالرجوع إلى الله - سبحانه وتعالى - إيمانا به وتصديقا بكتابه، وبخاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم، ويقينا في حتمية الآخرة وضرورتهما، وما فيها من بعث وحشر، وحساب وجزاء، وخلود إما في الجنة أبدا أو في النار أبدا، ومعرفة صحيحة بحقيقة وضع الإنسان في هذه الحياة: عبدا لله، خلقه ربنا - تبارك وتعالى - لرسالة محددة، وهي رسالة ذات وجهين: أولهما عبادة الله - تعالى - بما أمر، وثانيهما حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله فيها.

ولن يستطيع الإنسان الوصول إلى ذلك إلا عن طريق الإسلام العظيم الذي تعهد ربنا - تبارك وتعالى - بحفظ وحيه فحفظه في القرآن الكريم وفي سنة خاتم الأنبياء والمرسلين، فأصبح هذان المصدران من مصادر الوحى الإلهي هما طوق النجاة الوحيد لكل إنسان على وجه الأرض، ولا نجاة له بغيرهما..

فيا أيها الناس: عليكم بكتاب الله (القرآن الكريم)، وعليكم بسنة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله النبي العربي القرشي صلى الله عليه وسلم فهما الصورة الوحيدة للهداية الربانية الموجودة بأيدي الناس اليوم، ولا نجاة للإنسان في هذه الحياة الدنيا ولا من أهوال الآخرة إلا بالتعرف على تلك الهداية الربانية، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد وأنت خير الشاهدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

☆ ☆ ☆

قائمة ببعض المراجع المختارة

أولا: من مؤلفات الدكتور زغلول النجار

1- "السماء في القرآن الكريم" - دار المعرفة، بيروت (لبنان) (2004م).

2- "الأرض في القرآن الكريم" - دار المعرفة، بيروت (لبنان) (2005م).

3- "الحيوان في القرآن الكريم" - دار المعرفة، بيروت (لبنان) (2006م).

4- "خلق الإنسان في القرآن الكريم" - دار المعرفة، بيروت (لبنان) (2008م).

5- "الإنسان من الميلاد إلى البعث فى القرآن الكريم" دار المعرفة، بيروت (لبنان) (2008م).

6- "من آيات الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم" -دار المعرفة، بيروت (لبنان) (تحت الطبع).

7- "النبات في القرآن الكريم"، دار الشروق الدولية، القاهرة.

8- تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم (الأجزاء من 1-4)؛ دار الشروق الدولية - القاهرة.

9- الإعجاز العلمي فى السنة النبوية – دار نهضة مصر – القاهرة.

ثانيا: من مؤلفات الأستاذ عبد القادر عوده (رحمه الله):

10- "التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي" في مجلدين، مكتبة دار التراث – القاهرة (2003م).

ثالثا: من مؤلفات الأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتي (رحمه الله):

11- القرآن وعلم النفس - دار الشروق - القاهرة.

12- الحديث النبوي وعلم النفس- دار الشروق - القاهرة.

رابعا: من مؤلفات الدكتور محمد عز الدين توفيق:

13- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية – دار السلام – القاهرة.

خامسا: من مؤلفات الشيخ عاتق بن غيث البلادينى:

14- أخبار الأمم البائدة (فى القرآن) – دار مكة للنشر والتوزيع – مكة المكرمة.

سادسا: من مؤلفات الدكتور خالد فائق العبيدى:

15- ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية (1) الآثار والتاريخ.

سابعا: من مؤلفات الأستاذ هارون يحيى:

16- Perished Nations: Ta-Ha Publishers Ltd, London.

ثامنا: من مؤلفات الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائى:
17- التعبير القرآنى: دار عمار – عمان – الأردن.
تاسعا: بعض المواقع على شبكة المعلومات الدولية:
1- www.elnaggarzr.com
2- www.islamnoon.com
3- www.maknoon.com
4- www.55a.net
5- www.islamway.com

(تم الكتاب بحمد الله)

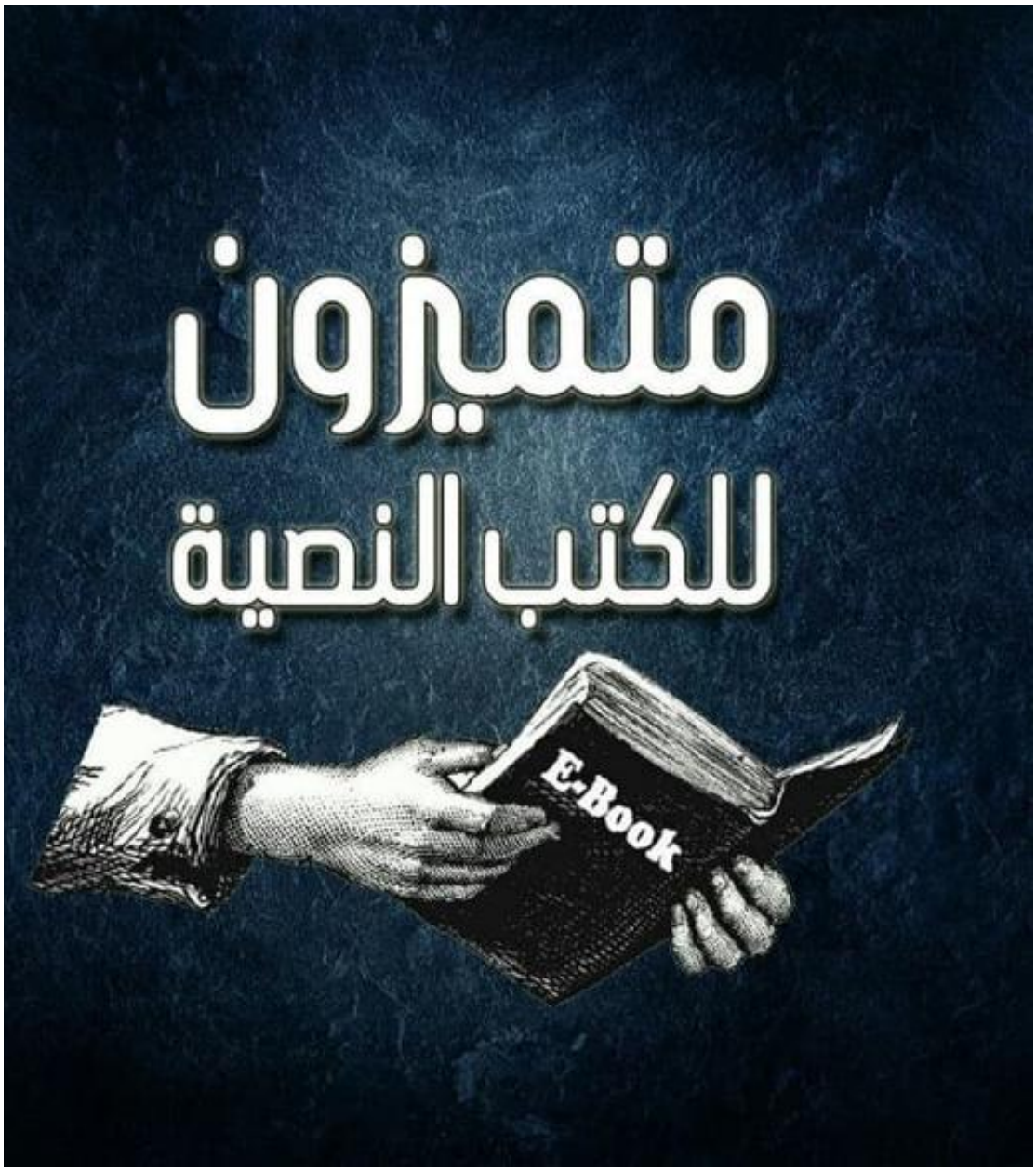
متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

فهرس المحتويات:

مقدمة..

أولا: الصفات الوراثية للإنسان تشهد لخالقه بالألوهية والربوبية

ثانيا: خلق كل من الإنسان والكون يشهدان للخالق بالألوهية والربوبية

ثالثا: الاحتمالات الرياضية للصدفة في خلق الحياة منعدمة انعداما كاملا

رابعا: وحدة البناء في الخلق تشير إلى وحدانية الخالق (سبحانه وتعالى)

خامسا: حدوث الكون وما فيه من كائنات وحتمية فناء كل ذلك يؤكد على حتمية الآخرة

سادسا: محدودية قدرات الإنسان الحسية والعقلية تؤكد على حقيقة الغيب

سابعا: حاجة الإنسان الفطرية إلى الدين تشهد بوجود الله

ثامنا: حفظ كل من القرآن والسنة يثبت أن الدين عند الله الإسلام

تاسعا: إعجاز القرآن الكريم للخلق أجمعين بمعنى عجزهم جميعا عن الإتيان بشيء من مثله يشهد بأنه كلام الله

عاشرا:: كل الظواهر الطبيعية هي من علامات قدرة الله

حادي عشر: الإنسان بين مفترق طرق: إما الإيمان وإما الكفر

الخاتمة

قائمة ببعض المراجع المختارة

فهرس المحتويات: